السجع بين القبول والرد

إعداد الدكتور

رجب محمد سالم رفاعى

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدرسات

الإسلامية والعربية بنين- بدسوق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان علمه البيان. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام المتقين، ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،

فإن اللغات على إختلاف أجناسها إنما هى وسيلة للفهم والتفاهم بين أبناء الجنس الواحد، تتناقل عن طريقها المعارف والمعلومات، ويعبر بها الإنسان عما فى نفسه، وماتتطلبه حياته اليوميه، ومايريد أن يوصله من معلومات وأفكار إلى غيره.

ومن ثم إهتمت كل أمة بلغتها، واتخذت فى سبيل تحقيق ذلك مظاهر شتى كالمحافظة على أصالتها من التحريف والتصحيف، والعناية بجمع مفرداتها وشرحها، والعمل على نشرها، ومحاربة كل من يحاول القضاء عليها، أو تشويه صورتها، كما أنشأت المدارس والمعاهد والكليات المتخصصة التى تقوم بتدريس العلوم المختلفة التى تختص باللغة كعلم النحو والصرف، وعلم أصول اللغة واللهجات، وعلم البلاغة والأدب وغير ذلك.

واللغة العربية واحدة من اللغات، بل من أعرق اللغات وأعظمها، فهى لغة القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿**ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون. قرأنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون**﴾[1]. قد اهتم بها أهلها وعملوا على المحافظة على أصالتها ونشرها منذ الفتح الإسلامى، وبذلوا قصارى جهدهم فى تنقيحها وتهذيبها،

---

(١) سورة الزمر الآيتان (٢٧، ٢٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكشفوا اللثام عن كل مايزينها ويرقى بها، سواء من ناحية اللفظ أو المعنى. فوضعوا القواعد والضوابط التى إذا ما انتهجها المتحدث فى كلامه. والكاتب فى كتاباته إرتقى إسلوبه وعلا شأنه، وأخذ بلب السامع سواء من ناحية الشكل أو المضمون.

والسجع يعد واحدا من المحسنات اللفظية، والفنون الأدبية العريقة الضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ الإنسانى لاتختص به لغة دون غيرها فهو يتغلغل فى كل اللغات، لأنه من مميزات البلاغة الفطرية.

وكما أنه لاتختص به لغة دون أخرى فهو لاتستأثر به طبقة معينة من الناس، لأنه يجرى على ألسنة الخاصة والعامة.

فها هى أمثلة العامة تقع غالبا مسجوعة، وهاهو الأدب الشعبى يأتى فى معظم صوره مسجوعا، لذلك يسهل حفظه، وتداوله على الألسنة.

والسجع الفنى ليس حلية لفظية لايقتضيها المقام، وإنما هو صورة صوتية يمليها المعنى فتزيد آداءه حسنا وجمالا، وبهاء بتأثير هذا الرنين الصوتى المتشابه، فيصير ضربا من ضروب التوكيد بالصوت، يتلون بألوان متباينة بحسب مايتعاون الصوت والمعنى فى التعبير عن المراد.

يقول العلوى: «اعلم أن هذا النوع- يعنى السجع- من علوم البلاغة كثير التدوار عظيم الاستعمال فى ألسنة البلغاء، ويقع فى الكلام المنثور، وهو فى مقابلة التصريع فى الكلام المنظوم الموزون فى الشعر»(١).

ولما كان السجع هذا شأنه بين مباحث علم البديع، وقد كثر فيه الكلام بين العلماء مابين مستحسن ومستكره، ومابين مجوز إطلاقه على ماوقع منه فى القرآن الكريم ومانع له، وتبع ذلك مناقشات، ومحاورات كل فيها يحاول أن ينتصر لرأيه، دفعنى ذلك إلى أن أقوم بدراسة هذا الموضوع الهام من

---

(١) ينظر الطراز للعلوى جـ٣. ص١٨ دار الكتب العلمية- بيروت-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موضوعات علم البلاغة، محاولا تحقيق القول فى ذلك، وكشف اللثام عما دار من مناقشات ومحاورات بين العلماء فى هذا الموضوع، مفصحا عما هو مقبول ومردود من هذا النوع فى هذا البحث. والذى وضعت له عنواناً:

«السجع بين القبول والرد»

وقد إشتمل على مقدمة. وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة : فقد تضمنت أسباب اختيارى لدراسة هذا الموضوع، والخطة التى سرت عليها فى البحث.

المبحث الأول : مفهوم السجع بين اللغة والاصطلاح.

المبحث الثانى : أقسام السجع.

المبحث الثالث : مراتب السجع فى الحسن وعدمه.

المبحث الرابع : أراء العلماء فى إطلاق السجع على ماجاء على صورته فى القرآن الكريم.

المبحث الخامس : الأثر البلاغى للسجع.

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج التى توصلت إليها فى هذا البحث.

وقد تم كل هذا بتوفيق من الله وعونه جل وعلا.

هذا. وأسأل الله عز وجل أن يبارك فى هذا الجهد المتواضع، وأن يسدد الخطى. وأن يحظى بالقبول والرضا. فإنه على مايشاء قدير، وبالإجابة جدير، وحسبى أننى بشر يصيب ويخطئ. ﴿**وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾(١). ﴿**ربنا آتنا من لدنك رحمة وهئ لنا من أمرنا رشدا**﴾(٢).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة هود: الآية (٨٨).

(٢) سورة الكهف: الآية (١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

مفهوم السجع بين اللغة والاصطلاح

أولا : مفهوم السجع في اللغة:

جاء في الصحاح، ولسان العرب في مادة: «سجع».

سجع يسجع سجعا. استوى واستقام، واشبه بعضه بعضا.

قال ذو الرمة[١]:

قطعت بها أرضا ترى وجه ركبها إذا ماعلوها مكفأ غير ساجع

أي: جائراً غير قاصد.

والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع، وكلام مسجع. وسجع يسجع سجعاً، وسجع تسجيعا: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن، وصاحبه سجاعة. وهو من الاستواء والإستقامة والاشتباه، كأن كل كلمة تشبه صاحبتها.

وسجع الحمام يسجع سجعا: هدل على جهة واحدة. وفي المثل لآتيك ماسجع الحمام، يريدون الأبد «عن اللحياني».

وحمام سجوع: سواجع، وحمامة سجوع بغير هاء، وساجعة. وسجع الحمامة: موالاة صوتها على طريق واحد.

تقول العرب: سجعت الحمامة؟ إذا دعت وطربت في صوتها. وسجعت الناقة سجعا: مدت حنينها على جهة واحدة: يقال ناقة ساجع، وسجعت القوى كذلك، قال يصف قوساً:

---

(١) هو غيلان بن عقبة بن نهيس من مضر ومن الشعراء المتيمين، وصاحبته مي بنت مقاتل المنقري، كان كثير المدح لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وقيل: إنه استقى مرة فخرجت له (مية) وكانت بارعة الجمال، وكان على كتفه رمة- قطعة حبل بالية- فقالت له: شرب ياذا الرمة فلزمته هذه الكنية منذ ذلك ولزمه حب مية من هذه النظرة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهى إذا أنبضت فيها تسجع ترنم النحل أبى لايهجع

قوله: تسجع يعنى حنين الوتر لإنباضه،

يقول: كأنها تحن حنينا متشابها، وكله من الاستواء والإستقامة والاشتباه.

وسجع له سجعا: قصد، وكل سجع قصد، والساجع القاصد فى سيره ... وفى الحديث: أنا أبابكر رضى الله عنه، اشترى جارية، فأراد وطأها، فقالت: إنى حامل، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: «إن أحدكم إذا سجع ذلك المسجع فليس بالخيار على الله، وأمر بردها». أى سلك ذلك المسلك. وأصل السجع: القصد المستوى على نسق واحد(١).

وقال ابن جنى(٢): «سمى سجعا لاشتباه أواخره، وتناسب فواصله»(٣).

ويبدو من خلال المعنى اللغوى لكلمة «السجع» أنها تدل على الاستواء، والاستقامة، والاشتباه، والتناسب، والقصد المستوى على نسق واحد.

---

(١) ينظر لسان العرب مادة: «سجع».

(٢) هو أبوالفتح عثمان بن جنى النحوى الموصلى، وقد كان أعجميا فأبوه مولى من موالى الروم، ويعد ابن جنى من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف. بل لقد كان لايعرف إلا بالنحوى، ويعد من تلاميذ أبى على الفارسى. يقول عنه الباخرزى فى دمية القصر «ليس لأحد من أئمة الأدب فى فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله سيما- فى علم الإعراب، فقد وقع منها على ثمرة الغراب» وكان صديقا للمتنبى وكثيرا ماينا ظره فى النحو، وكان المتنبى يقول فيه: «هذا رجل لايعرف قدره كثير من الناس»، وله مصنفات تتعلق بعلم النحو كالخصائص، وسر الصناعة، والمحتسب فى إعراب الشواذ وغيرها، كما كانت له آراء وتعليلات بلاغية أيضا. توفى سنة ٣٩٢هـ. انظر ترجمته فى نزهة الألباء ص٢٢٠، يتيمة الدهر جـ١ ص٨٩. ودمية القصر للبخارزى ص٢٩٧. تاريخ بغداد جـ١١ ص٣١١. وفيات الأعيان.

(٣) الخصائص. جـ١. ص٢١٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا: مفهوم السجع فى اصطلاح البلاغيين:

قال الخطيب[١]: «السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد»[٢]. وهذا معنى قول السكاكى[٣]: «الأسجاع فى النثر كالقوافى فى الشعر.

والمقصود بكلمة «تواطؤ». أى: توافق، والفاصلتين: هما الكلمتان اللتان فى آخر الفقرتين من النثر، بمنزلة القافيتين فى البيتين من الشعر. وعليه يمكن القول بأن السجع:

---

(١) هو محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبدالكريم العجلى القزوينى جلال الدين، المعروف بالخطيب القزوينى، ولد بالموصل سنة ٦٦٦هـ. ولماشب تفقه على أبيه وعلماء وطنه كالإربلى، وأبى العباس الفاروقى. كان فهما ذكيا، خطيبا مفوها، حسن الإيراد جميل الذات والهيئة والمكارم. من أهم مؤلفاته.

كتاب تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان والبديع، وهو من أجل مؤلفاته. وقد اختصره جماعة منهم عز الدين بن جماعة، وزكريا الأنصارى، ونظمه جلال الدين السيوطى، وسمى نظمه عقود الجمان. أما شراحه وحواشيه فكثير. منهم: عروس الأفراح لبهاء الدين السبكى، وشرح تلخيص المفتاح للبابرتى. كما شرحه الخطيب وسمى شرحه: «الإيضاح لتلخيص المفتاح» توفى رحمه الله بدمشق فى جمادى الأولى سنة ٧٣٩. ودفن بمقابر الصوفيه عن ٧٣سنة. ينظر شذرات الذهب جـ٦ ص١٢٣، النجوم الزاهرة جـ٩ ص٣١٨. وبغية الوعاة للسيوطى ص٦٦.

(٢) الإيضاح لتلخيص المفتاح. شرح الشيخ عبدالمتعال الصعيدى جـ٤ ص٩٢.

(٣) السكاكى: هو أبويعقوب يوسف بن أبى بكر السكاكى الخوارزمى، الإمام فى العلوم العربية بيانها وأدبها، وعروضها، وشعرها، المتكلم الفقيه. أشهر مؤلفاته «مفتاح العلوم» قسمه ثلاثة أقسام: الأول: فى علم الصرف، والثانى: فى علم النحو، والثالث: فى علوم المعانى والبيان والبديع. توفى سنة(٦٢٦هـ). انظر كتاب تاريخ علوم البلاغة للمراغى ص١٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو توافق الفاصلتين فى كونهما على حرف واحد فى آخر كل منهما. كما فى قوله تعالى: ﴿**والطور. وكتاب مسطور. فى رق منشور. والبيت المعمور**﴾[١]. فكلمة الطور، ومسطور، ومنشور، ومعمور فواصل لفقراتها، وكلها قد اتفقت فى الحرف الأخير منها. وهو «الراء».

الفرق بين السجع والفاصلة والقرينة والفقرة:

لما كانت هذه الألفاظ كثيرا ماترد فى هذا الباب كان من المناسب بيان معانيها للتمييز بينها.

وقد أشار إلى ذلك الدسوقى[٢]فقال: «اعلم أن هنا ألفاظا أربعة ينبغى استحضار معانيها لكثرة دورانها على الألسن فيزول الالتباس: السجع، والفاصلة، والقرينة، والفقرة:

فالقرينة قطعة من الكلام جعلت مزاوجة لأخرى.

والفقرة: مثلها إن شرط مزاوجتها الأخرى، وإلا كانت أعم سواء كانت مع تسجيع أولا كما هو ظاهر كلامهم.

وأما الفاصلة: فهى الكلمة الأخيرة من القرينة التى هى الفقرة.

وأما السجع: فقد يطلق على نفس الفاصلة الموافقة لأخرى فى الحرف الأخير منها، ويطلق على توافق الفاصلتين فى الحرف الأخير[٣].

وقد سميت الكلمة الأخيرة من الفقرة فاصلة، لأنها ينفصل عندها الكلامان.

---

(١) سورة الطور: الآيات (١. ٢. ٣. ٤).

(٢) الدسوقى: هو محمد بن أحمد بن عرفه المصرى المالكى الشهير بالدسوقى. ولد ببلدة دسوق من قرى مصر. كان رحمه الله- جامعا لأشتات الفضائل والمعارف برع فى كثير من الفنون والعلوم، واشتهر فى عصره بحل المشكلات، ترك مؤلفات نافعة ومفيدة فى مختلف العلوم. منها : حاشية على مغنى اللبيب. شرح العلامة السعد «المختصر على تلخيص المفتاح. توفى رحمه الله سنة ١٢٣٠هـ. معجم المطبوعات جـ١ ص٨٦٩. عجائب الآثار جـ٣/٤٩٦، معجم المؤلفين جـ٧/٨.

(٣) حاشية الدسوقى على مختصر السعد. ضمن شرح التلخيص جـ٤ ص٤٤٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى

أقسام السجع

من يطالع ماذكره البلاغيون[١] عن أقسام السجع يجد أنهم ذكروا له تقسيمات ثلاثة باعتبارات مختلفه:

التقسيم الأول: من حيث الاتفاق والاختلاف فى الوزن والقافية.

والتقسيم الثانى: بحسب تساوى القرائن وعدم تساويها.

والتقسيم الثالث: باعتبار طول القرائن وقصرها.

وإليك بيان ذلك.

التقسيم الأول

من حيث الإتفاق والاختلاف فى الوزن والقافية.

ويأتى السجع بهذا الاعتبار على ثلاثة أنواع: مطرف، ومرصع، ومتواز.

النوع الأول: المطرف: وهو مااختلفت فيه الفاصلتان وزنا واتفقتا تقفية[٢].

قال اليعقوبى[٣]: «وإنما سمى مطرفا لأنه خارج فى التوغل فى الحسن إلى الطرف بخلاف غيره كما يأتى، أو لأن ماوقع به التوافق وهو الإتحاد بين الفاصلتين إنما هو الطرف. وهو الحرف الأخير دون مايعم وهو الوزن[٤].

---

(١) ينظر شروح التلخيص جـ٤ ص٤٤٦.

(٢) الإيضاح لتلخيص المفتاح. جـ٤ ص٩٢ بتصرف.

(٣) هو ابن يعقوب المغربى من أهل مكناسة ببلاد الجزائر من علماء القرن الثانى عشر، من مؤلفاته (مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح، وشرح على الجوهر المكنون للأخضرى. توفى سنة (١١١٠)، انظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها. ص(١٩٠).

(٤) مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح. ضمن شروح التلخيص جـ٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال العصام[١]: «سمى مطرفا أخذا له من الطريف، وهو الحديث من المال، لأن الوزن فى الفاصلة الثانية حديث وليس هو الوزن الذى كان فى الأولى»[٢].

ولامشاحة فى جواز اعتبار العلتين فى تسمية هذا النوع بالمطرف، لأن الحسن بين الفاصلتين وقع فى الطرف، وكذا ماوقع به التوافق بين الفاصلتين هو الحرف الأخير فى الكلمة الأخيرة من كل فاصلة.

ومن أمثلته قوله تعالى ﴿**مالكم لاترجون لله وقاراً. وقد خلقكم أطواراً**﴾[٣]. فوقاراً فاصلة القرينة الأولى، وأطواراً فاصلة القرينة الثانية، وقد تواطأ على حرف واحد هو الراء، ولكنهما اختلفا فى الوزن، لأن الحرف الثانى من وقارا متحرك، والحرف الثانى من أطواراً ساكن.

ومن أمثلته قول الأعرابى حين سئل.

ماخيرالعنب؟ قال: ماأخضر عوده، وطال عموده، وعظم عنقوده. فعوده فاصلة القرينة الأولى. وعموده فاصلة القرينة الثانية، وعنقوده فاصلة القرينة الثالثة، وقد تواطأوا على حرف واحد وهو الدال، ولكنهما اختلفا فى الوزن كما ترى.

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين من سلائل أبى اسحاق الاسفراينى، ولد باسفرايين «قرية بخراسان» شب وترعرع على بساط العلماء. توفى سنة (٩٥١هـ) وكانت سنه (٧٢) سنة . صاحب التواليف الحسنة فى فنون كثيرة منها: شرح التلخيص الذى سماه الأطول نقد فيه كثيراً من بحوث سعد الدين التفتازانى فى المطول. والرسالة الفارسية فى البيان. وحاشية على تفسير البيضاوى. ينظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١٧٩ . ١٨٠.

(٢) ينظر الأطول جـ٢ ص٢٣٢.

(٣) سورة نوح. الآيتان (١٣ . ١٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النوع الثاني: المرصع: وهو ماكان فيه ألفاظ إحدى القرينتين كلها أوجلها موافق لمايقابلها فى الفقرة الأخرى وزنا وتقفية.

قال اليعقوبى: «سمى هذا النوع ترصيعا تشبيها له بجعل إحدى اللؤلؤتين فى العقد فى مقابلة الأخرى مثلها المسمى لغة بالترصيع»[١].

والمعتبر في الترصيع مساواة القرينة للأخرى بعد توافق فاصلتيهما وزنا وتقفية.

فمثال جميع مافي القرينة الثانية موافق لمايقابله من القرينة الأولى وزنا وتقفية قول الحريرى: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

فيطبع موازن ليقرع، والقافية فيهما العين. والأسجاع موازن للأسماع والقافية فيهما العين أيضا، وجواهر موازن لزواجر، والقافية فيهما الراء، ولفظه موازن لوعظه، والقافية فيهما الظاء.

ولو أبدل لفظ الأسماع بالآذان لكان مثالا لما يكون أكثر ما فى القرينة الثانية موافقا لمايقابله فى الأولي.

ومنه قول بعضهم: أكرم الناس من: إن قرب منح، وإن بعد مدح، وإن ظلم صفح.

وقال أبوالفضل الهمزانى: إن بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا.

وقول بعضهم فى الدعاء: اللهم هب لى حمدا، وهب لى مجدا، فلا مجد إلا بفعال، ولاحمد إلا بمال.

وقول أبى الفتح البستى: ليكن إقدامك توكلا، وإحجامك تأملا.

فنجد في هذه الأمثلة أن جميع أو أكثر مافى القرينة الثانية موافقا لما يقابله فى القرينة الأولى وزنا وتقفية.

---

(١) ينظر مواهب الفتاح. ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص٤٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النوع الثالث: المتوازى: وهو مالكم يكن فيه ألفاظ إحدى القرينتين كلها أو جلها مثل مايقابلها فى القرينة الأخرى.

قال اليعقوبى: هذا النوع من السجع يسمى متوازيا لتوازى الفاصلتين وزنا وتقفية دون رعاية غيرهما. والتسمية يكفى فيها أدنى اعتبار إذ الغرض تمييز أجناس المقاصد بالتسمية(١).

ويأتى هذا النوع من السجع على ثلاث صور:

الأولى: أن يكون الاختلاف فى الوزن والتقفية معا: كقوله تعالى: ﴿**فيها سرر مرفوعة. وأكواب موضوعة**﴾(٢). فالقرينتان هما: سرر مرفوعه، وأكواب موضوعة، وسرر وهو نصف القرينة الأولى يقابله من القرينة الأخرى أكواب، وهو نصفها، وهما مختلفان وزنا وتقفية معا.

الثانية: أن يكون الاختلاف فى التقفية دون الوزن.

ومثاله قولنا: حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت(٣): فكلمة: حصل فى القرينة الأولى على زنة «هلك» فى القرينة الثانية. ولكنهما مختلفان فى التقفية. إذ أن قافية الأولى هى اللام، وقافية الثانية هى الكاف. وكذا بين الناطق والحاسد. أما الصامت والشامت فقد اتفقتا وزنا وتقفية لأنها فاصلتان لابد فيهما من التوافق هنا.

ومعنى المثال: حصل عندنا اكتساب العبيد، واكتساب غيرهم ممالاينطق وهلك الحاسد والشامت وهو الذى يفرح بنزول المصائب والنكبات.

الصورة الثالثة: أن يكون الاختلاف فى الوزن دون التقفية.

---

(١) ينظر مواهب الفتاح. ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص٤٤٨.

(٢) سورة الغاشية. الآيتان (١٥، ١٦).

(٣) المقصود: بالناطق: العبيد، والصامت: الخيل ونحوها من سائر الحيوانات. والشامت: هو الذى يفرح بنزول المصائب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد مثل له التفتازانى [١] بقوله تعالى ﴿والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفا﴾[٢].

قال اليعقوبى: «فالمرسلات مع العاصفات متفقان تقفية ولم يتفقا وزنا وكل منهما نصف القرينة. وفيه نظر: لأن المعتبر من الوزن هنا الوزن الشعرى كما قيل لا الوزن النحوى. وعليه فهما متوافقان إذ المتحرك فى مقابلة المتحرك، والساكن فى مقابلة الساكن، وعدد الحروف المنطوق بها واحد فيهما، وإن كان وزن المرسلات فى النحو المفعلات، والعاصفات الفاعلات»[٣].

وحينئذ فالآية على ماذهب إليه اليعقوبى تكون مثالا من النوع الثانى وهو السجع المرصع. حيث إن المعتبر هنا الوزن العروضى لاالصرفى.

وقد وافقت ألفاظ القرينة الأولى مايقابلها من ألفاظ القرينة الثانية وزنا وتقفية.

ويمكن التمثيل لهذه الصورة بقوله تعالى «خذوه. فغلوه». فكلمة «خذوه» وهى القرينة الأولى موافقة لكلمة «غلوه» وهى القرينة الثانية فى

---

(١) هو مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازانى. ويلقب بسعد الدين وينسب إلى تفتازان. وهى البلدة التى ولد بها. نشأ محبا للعلم مولعا به، فكان ذا حظ وافر، ونصيب كبير من العلم والثقافة فى كثير من مجالات العلم والمعرفة. من مؤلفاته: شرح الأربعين النووية. وفى النحو والصرف له «متن الإرشاد»، وفى البلاغة «المطول على تلخيص المفتاح» وأقيم حوله كثير من الحواشى، «والمختصر» وسماه «مختصر المعانى» وهو مختصر للمطول. وقامت حوله حواشى كثيرة. وله مؤلفات فى أصول الفقه. «كالتلويح على شرح غوامض التنقيح. وفى المنطق، وعلم الكلام، والفلسفة. توفى رحمه الله بسمرقند سنة ٧٩٢هـ. ينظر ترجمته فى الشقائق النعمانية جـ١ ص٦٣، ومفتاح السعادة جـ١ ص٢١١، وشذرات الذهب جـ٧ ص٢٤٥.

(٢) سورة المرسلات: الأيتان (١، ٢).

(٣) مواهب الفتاح. ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص٤٤٨، ٤٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التقفية. واختلفتا فى الوزن، حيث إن «خذوه» على وزن «علوه». و«غلوه» على وزن «فعلوه».

التقسيم الثانى

بحسب تساوى القرائن وعدم تساويها

ويأتى السجع بهذا الاعتبار على ثلاثة أنواع.

النوع الأول: ماتساوت قرائنه فى اللفظات كما فى قوله تعالى: ﴿**فى سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود**﴾(١).

فقوله تعالى ﴿**فى سدر مخضود**﴾ قرينة «وطلح منضود» قرينة أخرى «ظل ممدود» قرينة ثالثة، وقد تساوت فى كون كل قرينة منها مركبة من لفظتين.

وقوله تعالى: ﴿**فأما اليتيم فلاتقهر. وأما السائل فلاتنهر**﴾(٢). هاتان قرينتان متساويتان، أى أن كل واحدة منهما مكونة من أربع كلمات.

النوع الثانى: ماطالت قرينته الثانية أوالثالثة.

فمثال الأول: قوله تعالى: ﴿**والنجم إذا هوى. ماضل صاحبكم وماغوى**﴾(٣) فالثانيه أطول من الأولى.

ومثال الثانى: قوله تعالى: ﴿**خذوه. فغلوه. ثم الجحيم صلوه**﴾(٤). فقوله تعالى ﴿**ثم الجحيم صلوه**﴾. قرينة ثالثة وهى أطول من الأولى والثانية.

---

(١) سورة الواقعة. الأيات (٢٨. ٢٩. ٣٠).

(٢) سورة الضحى. الآيتان (٩. ١٠).

(٣) سورة النجم. الآيتان (١. ٢).

(٤) سورة الحاقة الآيتان (٣٠. ٣١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد اشترطوا لطول الثانية ألا يكون بحيث يخرجها عن الاعتدال كثيراً، وإلا كان قبيحا، أما الثالثة فيجوز أن تكون مساوية للأوليين، وأن تزيد عليهما قليلا(١).

النوع الثالث: ماقصرت قرينته الثانيه عن الأولى، وذلك كما فى قول الفتح ابن خاقان المغربى: «الحمد لله الذى راضى لنا البيان حتى انقاد فى أعنتنا، وشاد مثواه فى اجنتنا»(٢).

التقسيم الثالث

باعتبار طول القرائن وقصرها

ويأتى السجع بهذا الاعتبار على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ماقصرت قرائنه. كما فى قوله تعالى: ﴿**يأيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر**﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿**والمرسلات عرفا. فالعاصفات عصفا**﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿**والفجر. وليال عشر، والشفع والوتر**﴾(٥).

فهذه الأمثلة نجد القرائن فيها ركبت من كلمتين.

النوع الثانى: ماتوسطت قرائنه كما فى قوله تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾(٦).

---

(١) ينظر أنوار الربيع جـ٦/ ٢٥١ نقلا عن محاضرات فى علم البديع ص٣٠- د. محمود السيد شيخون.

(٢) ينظر المرجع السابق.

(٣) سورة المدثر. الآيات (١-٤).

(٤) سورة المرسلات. الآيتان(١. ٢).

(٥) سورة الفجر. الآيات (١. ٢. ٣).

(٦) سورة القمر. الآيتان (١. ٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله تعالى: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه، فهو في عيشة راضية. في جنة عالية﴾(١).

النوع الثالث: ماطالت قرائنه. وذلك كما في قوله تعالى ﴿إذ يريكهم الله في منامكم قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور. وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا وإلي الله ترجع الأمور﴾(٢).

---

(١) سورة الحاقة. الآيات (٢٠. ٢١. ٢٢).

(٢) سورة الأنفال. الآيتان (٤٣. ٤٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

مراتب السجع فى الحسن، وعدمه

يرى البلاغيون أن السجع ليس مستويا فى الحسن. بل منه الحسن، والأحسن، ومالايحسن.

قال اليعقوبى: «وأحسن السجع ماتساوت قرائنه فى اللفظات، وأحسن هذا الأحسن أقصره قرينة، لصعوبة إدراكه ، وعزة اتفاقه، ولقرب سجعه من السمع، بخلاف التطويل. وأحسنه ماكان من لفظين، وينتهى الأقصر إلى تسع كلمات، ومازاد على ذلك تطويل»(١).

ويفهم مماذكره اليعقوبى ومأأشار إليه البلاغيون أن مراتب السجع فى الحسن وعدمه على النحو التالى:

١- أحسن الأسجاع. وهو ماتساوت قرائنها كقوله تعالى: ﴿**فى سدر مخضود. وطلح منضود، وظل ممدود**﴾(٢).

ومن أمثلته التى ذكرها البلاغيون قول الإمام على كرم الله وجهه يصف مقام الرسول عليه الصلاة والسلام: «عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر»(٣).

٢- مايلى هذه الرتبة فى الحسن الكائن باعتبار تساوى القرائن وعدمه. وهو ماطالت قرينته الثانية عن الأولى.

قال الدسوقى: «يجب أن يكون الطول غيرمتفاحش، وإلا كان قبيحا. والطول المتفاحش بالزيادة على الثلث. ومحل القبح إذا وقعت الطويلة بعد فقرة واحدة، أما لوكانت بعد فقرتين فأكثر لايقبح لأن الأوليين حينئذ بمثابة واحدة»(٤).

---

(١) ينظر مواهب الفتاح جـ٤ ص٤٤٩.

(٢) سورة الواقعة الآيات (٢٨ . ٢٩ . ٣٠).

(٣) نهج البلاغة جـ١ ص٨٣ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.

(٤) حاشية الدسوقى على مختصر السعد. ضمن شروح التلخيص، جـ٤ ص٤٤٩ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومما مثلوا به قوله تعالى ﴿**والنجم إذا هوى. ماضل صاحبكم وماغوى**﴾(١). فقوله تعالى «والنجم إذا هوى» قرينة. وقوله (ماضل صاحبكم وماغوى». فقوله تعالى «والنجم إذا هوى» قرينة. وقوله «ماضل صاحبكم وماغوى» قرينة ثانية، وهى أكثر فى الكلمات مماقبلها فهى أطول منها.

ومما عده البلاغيون من هذا النوع ماطالت قرينته الثالثة. ومن أمثلته التى أوردوها قوله تعالى ﴿**خذوه. فغلوه. ثم الجحيم صلوه**﴾(٢). فقوله تعالى «خذوه» قرينة. وقوله «فغلوه» قرينةأخرى، وهما متساويتان فى أن كلا منهما كلمة واحدة، ولاعبرة بحرف الفاء المأتى به للترتيب فى كونهما من كلمتين. وقوله«ثم الجحيم صلوه» قرينة ثالثة وهى أطول من كل مماقبلها.

قال الخطيب: وقد اجتمعا (٣)- أى ماطالت قرينته الثانية عن الأولى. وماطالت قرينته الثالثة عن الأولى والثانية- قوله تعالى ﴿**والعصر- إن الإنسان لفى خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾(٤).

فقوله تعالى «والعصر» قرينة. وقوله «إن الإنسان لفى خسر» قرينة أخرى وهى أطول من الأولى. وقوله تعالى «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» قرينة ثالثة. وهى أطول من الأولى والثانية.

٣- مالايحسن من السجع بحسب طول القرائن وقصرها. وهوماكانت قرينته الثانية أقصر من الأولى كثيراً.

---

(١) سورة النجم. الآيتان (١. ٢).

(٢) سورة الحاقة. الآيتان (٣٠. ٣١).

(٣) ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح. شرح عبدالمتعال جـ٤ ص٩٤.

(٤) سورة العصر. الآيات: (١. ٢. ٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال اليعقوبى: «وإنما اشترط أن تكون القرينة الثانية أقصر من الأولى كثيراً احترازا مما إذا أتى بالقصرى بعد الطولى ولكن قصر الثانية قليل فإنه لايضر، وقد ورد فى التنزيل كقوله تعالى: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم فى تضليل**﴾[١]. فإن الأولي من تسع كلمات بحرفى الجر والاستفهام. والثانية من ست، ولم يضر فيؤخذ منه أن الزيادة بالثلث لاتضر بخلاف ماإذا قصرت الثانية كثيرا فإنه يقبح، لأن السجع قد استوفى أمده المطلوب فى الأخرى، فإذا أتى بها قاصرة قصراً كثيراً صار السمع كمن يريد الانتهاء إلى غاية ثم يعثر دونها ففاجأه خلاف مايرتقب وهو مايستقبح. وذلك كما لوقيل: خاطبنى خليلى. وشفانى بكلامه الذى هو كالجوهر النفيس، فاقتضيت به أحسن تنفيس. والذوق السليم شاهد بقبح ذلك»[٢].

حكم تطبيق هذه القواعد على القرآن الكريم:

يفهم من تمثيل شراح التلخيص وغيرهم لتفاوت السجع فى الحسن من القرآن الكريم أنهم طبقوا هذه القواعد وتلك الشروط التى وضعوها لتفاوت السجع فى الحسن على البيان القرآنى.

والحق أن تطبيق هذه الشروط على القرآن الكريم قد يؤدى إلى محظور، وهو أنه بهذا المقياس الذى وضعه البلاغيون لما هو حسن وأحسن من السجع يصبح قول الحريرى صاحب المقامات: وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه».

وقول الإمام على كرم الله وجهه السابق أحسن وأبلغ من قوله تعالى: ﴿**والنجم إذا هوى. ماضل صاحبكم وماغوى**﴾[٣].

---

(١) سورة الفيل. الآيتان (١. ٢).

(٢) مواهب الفتاح. ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص٤٥٠.

(٣) سورة النجم: الآيتان (١، ٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذلك لأن قول الحريرى. وقول الإمام استوفى شروط الحسن حسب قواعدهم، وهو أن أحسن السجع ماتساوت قرائنه. أما قوله تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى﴾ فلم يستوف كل شروط الحسن لطول القرينة الثانية عن الأولى.

وهذا جهل بقدر كلام الله تعالى وسمو بلاغته، وبلوغه حدا لايمكن أن يحاكى، فضلا عن أن يعلى عليه.

كما أن تطبيق هذه الشروط يؤدى إلى محظور آخر وهو القول بتفاوت القرآن بعضه بعضا فى الحسن. وهذا فيه إجحاف وسوء فهم وتقدير للقرآن الكريم.

فالقرآن الكريم كله فى درجة واحدة لايعلو بعضه بعضا، وليس فيه تفاوت بين آياته فى الحسن، لأن مصدره واحد. وهو الله سبحانه جل وعلا.

ومسألة أفضلية القرآن بعضه على بعض قول شاع عند بعض المتقدمين كالإمام الباقلانى [١] فى كتابه «إعجاز القرآن» [٢]. وجلال الدين السيوطى [٣]. فى كتابه «معترك الأقران فى إعجاز القرآن»، وكتابه: «الاتقان فى علوم القرآن» [٤].

---

(١) هو محمد بن الطيب أبوبكر القاضى من أهل البصرة. شيخ الأشاعرة فى عصره له كتب كثيرة من أشهرها إعجاز القرآن، توفى سنة ٤١٣هـ.

(٢) ينظر إعجاز القرآن ص ٦٣ ومابعدها.

(٣) هو عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد جلال الدين السيوطى الأصل الطولونى الإقامة، الشافعى، ويعرف بابن الأسيوطى. ولدليلة مستهل رجب سنة (٨٤٩هـ) من أم تركية وأب مصرى، ونشأ يتيما، حفظ القرآن الكريم. والعمدة، والمنهاج وغيرها. صاحب التصانيف المختلفة فى شتى العلوم.توفى سنة ٩١١هـ. ينظر تاريخ علوم البلاغة للمراغى ص١٧١.

(٤) ينظر الاتقان فى علوم القرآن جـ٤ ص١٨، ١٩، ١١٧-١٢٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحرى بالمسلم أن يمعن النظر فى هذا القول، وأن يحدد وجه الأفضلية، فإن كان القائل بالأفضلية يراجعها إلي عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها، وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا فهذا جائز لما هو ثابت فى السنة.

قال السيوطى. قال ابن التين: فى حديث البخارى «لأعلمنك سورة هى أعظم السور». معناه أن ثوابها أعظم من غيرها.

وقال غيره: إنما كانت أعظم السور، لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك سميت أم القرآن»(١).

أما أن تكون الأفضلية راجعة إلي تفاوت أسلوبه فى الفصاحة والبلاغة وأن هناك آية أبلغ من أية، وسورة أبلغ من سورة فهذا ماينبغى الوقوف عنده.

وأرى عدم الخوض فيه لأنه يؤدى فى تصورى إلى محظور كذلك، وهو أن الله سبحانه وتعالى- كان فى بعض المواضع من القرآن أقدر على إجادة القول منه فى مواضع أخرى، وهذا محال فى حقه تعالى لأنه على حكيم.

يقول الدكتور عبدالعظيم المطعنى: بعدما أشار إلى ماذهب إليه شراح التلخيص من تطبيقهم لقواعد تفاوت السجع فى الحسن على القرآن الكريم: «إن مثل هذه القواعد تطبيقها على البيان القرآنى محظور، فينبغى أن يعاد النظر فيها، وفى مثلها، أو تظل بمنأى عن القرآن الكريم وروعته وجلاله. ولم يوقع العلماء القدماء فى هذا إلا وضع القاعدة أولا مستمدة من أدب البشر. ثم تطبيقها ثانياعلى القرآن الحكيم. وإلا لما وقعوا فى مثل تلك المحاذير»(٢).

---

(١) ينظر الاتقان فى علوم القرآن جـ٤ ص١٢٠.

(٢) ينظر كتاب «من قضايا البلاغة والنقد» د. عبدالعظيم المطعنى ص١٥٩، ١٦٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شروط حسن السجع:

إن الفطرة السليمة فى كل عناصر الحياة مع النغمة الشجية، واللحن الجميل، وإذا كان فى السجع شئ من هذا التنغيم البديع الذى يسمو به المعنى، فمرحبا به وأهلا. وأما إذا كان نشازاً معتلا فلا مرحبا ولا أهلا، لأن الذوق السليم يأبى ذلك.

وقد تكلم البلاغيون عن سمات السجع المحمود، وماينبغى مراعاته فيه.

قال الخفاجى[١] «والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلا متيسراً بلا كلفة ولامشقة، وبحيث يظهر أنه لم يقصد فى نفسه، ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه، ولايكون الكلام الذى قبله إنما يتخيل لأجله، وورد ليصير وصلة إليه، فإنا متى حمدنا هذا الجنس من السجع كنا قد وافقنا دليل من كرهه، وعملنا بموجبه، لأنه إنما دل على قبح مايقع من السجع بتعمل وتكلف، ونحن لم نستحسن ذلك النوع، ووافقنا- أيضا- دليل من اختاره لأنه إنما دل به على حسن ماورد منه في كتاب الله تعالى.

وكلام النبى ﷺ ، والفصحاء من العرب،وكان يحسن الكلام، ويبين أثار الصناعة، ويجرى مجرى القوافى المحمودة، والذى يكون بهذه الصفات هو الذى حمدناه واخترناه، وذكرنا أنه يكون سهلا غير مستكره ولامتكلف»[٢].

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان- أبومحمد-الخفاجى الحلبى شاعر وأديب، ولد سنة ٤٢٣هـ بقلعة(عزاز) من أعمال حلب، وكان أبوه من أشراف البلدة، أخذ العلم عن أبى العلاء المعرى وغيره. وعندما أتم علومه ولى على قلعة عزاز، وسخط على أولياء الأمر فى عصره ، فأعلن العصيان على الأمير محمود بن نصر فأمروزيره النحاس بتنفيذ مكيدة بابن سنان أودت بحياته. فمات سنة ٤٦٦هـ. ينظر ترجمته فى كتابه سر الفصاحة.

(٢) ينظر: سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ص١٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد حكى الجاحظ[١] عن بشر بن المعتمر[٢]: أنه قال فى وصيته فى البلاغة: إذالم تجد اللفظة واقعة موقعها، ولاصائرة إلى مستقرها، ولاحالة فى مركزها، بل وجدتها قلقة فى مكانها، نافرة في موضعها، فلاتكرهها على القرار فى غير موطنها، فإنك إذا لم تتعاطى قريض الشعر الموزون، ولم تتكلم اختيار الكلام المنثور. لم يعبك بترك ذلك أحد، وإذا أنت تكلفتهما، ولم تكن صادقا فيها، عابك من أنت أقل عيبا منه، وأزرى عليك من أنت فوقه[٣].

وقال ابن الأثير[٤]: واعلم أن الأصل فى السجع إنما هو الاعتدال فى مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء. والنفس تميل إليه بالطبع، ومع هذا فليس الوقوف فى السجع عند الاعتدال فقط، ولاعند تواطؤ الفواصل على حرف واحد- إذ لوكان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الأدباء سجاعا، ومامن أحد منهم- ولو شدا شيئا يسيراً من الأدب- إلا ويمكنه أن يؤلف ألفاظا مسجوعة، ويأتى بها فى كلامه، بل ينبغى أن تكون

---

(١) هو أبوعثمان عمرو بن بحر محبوب الكنانى ولاء، المقلب بالجاحظ، والحدقى لجحوظ عينيه، وكبر حدقته. ولد بالبصرة سنة (١٥٠هـ) كما حدث بذلك عن نفسه. وتوفى سنة(٢٥٥هـ). صاحب المؤلفات الكثيرة مابين كتب ورسائل، منها كتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين وغيرها. انظر كتاب تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص(٦٦) ومابعدها.

(٢) هو بشر بن المعتمر الهلالى البغدادي- أبوسهل- فقيه معتزلى، من أهل الكوفة، تنسب إليه الطائفة «البشرية» له مصنفات فى الاعتزال. منها قصيدة فى أربعين ألف بيت، رد فيها على جميع المخالفين. مات ببغداد سنة ٢١٠هـ.

(٣) ينظر البيان والتبيين جـ١ ص١٣٨ تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون بتصرف.

(٤) هو أبوالفتح نصرالله محمد بن محمد الشيبانى الجزرى الملقب بابن الأثير، وزير الملك الأفضل ابن صلاح الدين الكاتب الناثر صاحب التصانيف البديعية، والتوليد والإختراع فى رسائله المتوفى سنة ٦٣٧هـ. انظر ترجمته فى كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، وكتاب تاريخ علوم البلاغة للمراغى ص١١٢ وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الألفاظ المسجوعة حلوة حارة طنانة رنانة، لاغثة ولاباردة. وأعنى بقولى: «غثة باردة» أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، ومايشترط لها من الحسن... فإذا صفى الكلام المسجوع من الغثاثة والبرد فإن وراء ذلك مطلوبا آخر، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ، فإنه يجئ عند ذلك كظاهر مموه، على باطن مشوه، ويكون مثله كغمد من ذهب على نصل من خشب...

وسأبين لك فى هذا مثالا تتبعه، فأقول: إذا صورت فى نفسك معنى من المعانى، ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع، ولم يواتك ذلك إلا بزيادة فى ذلك اللفظ، أو نقصان منه، ولايكون محتاجا إلى الزيادة ولا إلى النقصان، وإنما نفعل ذلك لأن المعنى الذى قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه، وإذا دللت بذلك اللفظ لايكون مسجوعاً إلا أن تضيف إليه شيئا أخر، أو تنقص منه، فإذا فعلت ذلك فإنه هو الذى يذم من السجع، ويستقبح، لما فيه من التكلف والتعسف....

وأما إذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فإنه يجئ فى غاية الحسن، وهو أعلى درجات الكلام... واعلم أن للسجع سراً هو خلاصته المطلوبة، فإن عرى الكلام المسجوع منه فلايعتد به أصلا... وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها فإن كان المعنى فيهما سواء، فذلك هو التطويل بعينه، لأن التطويل إنما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها، وإذا وردت سجعتان تدلان على معنى واحد كانت إحداهما كافية فى الدلالة عليه»[١].

وبنظرة فاحصة فى هذه النقول التى تضمنت سمات السجع المقبول والمحمود نستطيع أن نخلص إلى ما اعتمده البلاغيون من شروط ينبغى مراعاتها ليكون السجع مقبولا محبوبا. هذه الشروط هى:

---

(١) ينظر المثل السائر جـ١ ص٢١٢، ٢١٣، ٢١٤ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- أن تكون ألفاظ العبارة المسجوعة فصيحة تتصف بكونها حلوة المذاق، رنانة، تشق الآذان، وتعذب على اللسان، وتكون واضحة في البيان.

يقول العلوى[١]: أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق رطبة طنانة، صافية على السماع حلوة طيبة رنانة، تشتاق إلى سماعها الأنفس، ويلذ سماعها الآذان، مجنبة عن الغثاثة والرداءة، ونعنى بالغثاثة الرداءة: أن الساجع يصرف نظره إلى مؤاخاة الأسجاع، وتطابق الألفاظ، ويهمل رعاية حلاوة اللفظ وجودة التركيب وحسنه، فعند هذا تمسه الرداءة وتفارقه الحلاوة ويصير فيما جاء به بمنزلة من ينظم عقداً من خزف ملون، أو ينقش بألوان الصباغ ثوباً من عهن»[٢].

٢- أن تكون الألفاظ تابعة للمعنى، خادمة له، لا أن يلتوى المعنى ليكون تابعا لها وخادما.

وقد ذم رسول الله ﷺ هذا النوع فى قوله: «أسجعا كسجع الكهان»[٣].

وعن هذا الشرط يقول العلوى- أيضا- «أن تكون الألفاظ المسجوعة فى تركيبها تابعة لمعناها، ولايكون المعنى فيها تابعا للألفاظ فتكون ظاهرة التمويه، وباطنة التشويه، ويصير مثاله كمثال عمد من ذهب على نصب من خشب، أوكرة محلاة أو بعرة مذهبة مطلية، ومثال ذلك: أنك إذا تصورت فى نفسك معنى من المعانى، فإنك إذا أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع، ولم يواتك

---

(١) هو يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوى أمير المؤمنين ببلاد اليمن من سنة ٧٢٩هـ إلى سنة ٧٤٩هـ. من مؤلفاته: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. وكتاب الحاصر لفوائد مقدمة ابن طاهر. توفى سنة (٧٤٩هـ).

(٢) ينظر الطراز جـ٣ ص٢١.

(٣) رواه مسلم كتاب القسامة باب دية الجنين ووجوب الدية فى قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجانى. باب (١١) حديث ١٦٨٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك، ولاسمحت قريحتك به إلا بزيادة فى ذلك اللفظ، أو نقصان منه من غير حاجة إلى ذلك النقصان، وتلك الزيادة، وإنما تأتى بالزيادة والنقصان من أجل تسوية السجع، وإظهار جوهره لامن أجل المعنى، فما هذا حاله هو الذى يذم من التسجيع ويقبح، لما فيه من إصلاح اللفظ دون المعنى، ولما فيه من التكلف والتعسف المستغنى عنه، فأما إذا كان من غير تكلف، فإنه يأتى فى غاية الحسن»(١).

٣- أن تكون الفقرة الثانية من السجع حاملة معنى جديداً غير الذى حملته الفقرة الأولى. وإلا كان الكلام حشوا وثرثرة وتكراراً لافائدة فيه.

٤- ألاتزيد عدد الفقر المنتهية بإيقاع واحد عن سجعتين أو ثلاث، فإذا توالت الفقر على نغمة واحدة ووتيرة مماثلة أدت إلى الملل، وفاحت منها روائح الكلفة.

٥- أن تكون فقر السجع قليلة، قصيرة التركيب.. وخيرها ماتركب من كلمتين، أو مازاد عليهما بقليل.

٦- خير السجع ماتساوت فقره، فإن لم تتساو، فمازادت التالية على سابقتها بقليل لئلا تضيع لذة الإيقاع.

٧- أن يوقف على نهاية كل فقرة بالساكن، وإلا أضاع الإعراب نعمة الإيقاع، قال الخطيب القزوينى: واعلم أن فواصل الأسجاع موضوع على أن تكون ساكنة الأعجاز «أى أواخرها» موقوفا عليها لأن الفرض أن يزاوج بينها- أى يوافق بين الفواصل- ولايتم ذلك فى كل صورة إلا بالوقف ألاترى أنك لو وصلت قولهم: ما أبعد مافات وما أقرب ماهو آت» لم يكن بد من إجراء كل من الفاصلتين على مايقتضيه حكم الإعراب فيفوت الغرض من السجع.

---

(١) ينظر الطراز جـ٣ ص٢٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأن «تاء فات» لولا الوقف كانت مفتوحة، و«تاء آت» لو أعربت كانت مكسورة. فأخذ مما ذكرأن الأستواء فى هيئة حرف السجع لابد منه إعراباً أو سكوناً.

٨- يسامح السجاعة فى تغيير لفظة الفاصلة كى توافق أختها ويعامل صاحبها كما يعامل الشاعر، إذ يجوز له مالايجوز لسواه.

وقد أشار الخطيب إلى ذلك فى سياق استدلاله على أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها بقوله: «وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج فى قولهم: «إنى لأتيه بالغدايا والعشايا» أى بالغدوات فما ظنك بهم فى ذلك»[١].

يفهم من كلام الخطيب أنهم يترخصون لحسن المزاوجة فى الخروج عن موضوع اللفظ كقولهم: الغدايا والعشايا بدلا من الغدوات لمزاوجة العشايا. لأن غدوة تجمع على غدوات لاعلى غدايا، فلايقال- غدايا- إلامع عشايا- وهذا على أن غدايا جمع غدوة، لاغدية، وإلا كان جمعا صحيحا، وإن لم يكن معه عشايا.

قال الشيخ عبد المتعال الصعيدى: والأقرب حمل قولهم على هذا، لأنه لايصح تكلف حلية لفظية إلى هذا الحد[٢].

٩- أن تكون المعانى الحاصله من التراكيب المسجوعة مألوفة غير غريبة ولاوحشية ولامستنكرة ولاركيكة مستبشعة، لأنها إذا كانت غريبة نفرت عنها الطباع وكانت غير قابلة لها، وإذا كانت ركيكة مجتها الأسماع، فكل واحدة من السجعتين دال على معنى حسن بإنفراده، لكن انضمام إحداهما إلى الأخرى هو الذى ينافر من أجل التركيب.

---

(١) ينظر الإيضاح لتلخيص المفتاح. شرح عبدالمتعال جـ٤ ص٩٦.

(٢) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح جـ٤ ص٩٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع

آراء العلماء في إطلاق السجع على ماجاء على صورته في القرآن الكريم

لما وقع التوافق بين الفواصل كثيراً في القرآن الكريم، بل إن هناك سوراً بأكملها مثل سورة القمر، وسورة الرحمن وغيرهما قد وردت كذلك.

فقد اختلف العلماء في إطلاق السجع على ماجاء على صورته في القرآن الكريم فذهبت جماعة إلى نفيه. وأجازته جماعة أخرى.

أولاً: القائلون بنفي السجع عن القرآن الكريم وأدلتهم:

الرماني[١]:

ذهب الرماني إلى نفي السجع عن القرآن الكريم. وأطلق على ماجاء في القرآن الكريم على صورة السجع إسم الفواصل رغبة منه في تنزيه القرآن الكريم عن التصريح بتسميته بما هو أصله في الحمام التي هي من الدواب العجم إذ السجع أصله هو هدير الحمام ثم نقل إلى هذا المعنى فلايصرح بوجوده في القرآن الكريم.

هذا بالإضافة إلى أن السجع جاء وصفاً للكلام المروي عن الكهنة وغيرهم في العصر الجاهلي.

---

(١) هو أبوالحسن علي بن عيسى الرماني ولد سنة (٩٦١هـ)، بمدينة سامراء أو بغداد، وكان محباً للعلم، واسع الإطلاع، متقنا للأدب وعلوم اللغة والنحو، ولذلك لقب بالنحوي المتكلم، شيخ العربية، وصاحب التصانيف، منها. الجامع في علوم القرآن، والنكت في إعجاز القرآن، وألفات القرآن. وغيرها من المؤلفات القيمة توفي سنة (٣٨٦هـ) بعد حياة طويلة حافلة بالعلم.

انظر ترجمته في كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن . دار المعارف ص(١٠، ١١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما تسمية ماجاء على صورة السجع بالفواصل فلقوله تعالى ﴿**كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**﴾[١] وقوله تعالى ﴿**وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يتقون**﴾[٢].

قال الرمانى: الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع توجب حسن إتهام المعانى، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعانى، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها. وهو قلب ماتوجيه الحكة فى الدلالة، إذ كان الغرض الذى هو حكمة إنما هو الإبانة عن المعانى التى الحاجة إليها ماسة، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة، وإذاكانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولكنة، لأنه تكلف من غير الوجه الذى توجبه الحكمة. ومثله من رصع تاجاً ثم ألبسه زنجياً ساقطا، أو نظم قلادة در ثم ألبسها كلبا. وقبح ذلك وعيبه بين لمن له أدنى فهم، فمن ذلك مايحكى عن بعض الكهان: «والأرض والسماء، والغراب الواقعة بنعقاء، لقد نفر المجد إلى العشراء». ومنه مايحكى عن مسيلمة الكذاب: «ياضفدع نقى كم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا النهر تفارقين». فهذا أغث كلام يكون وأسخفه، وقد بينا علته، وهو تكلف المعانى من أجله، وجعلها تابعة له من غير أن يبالى المتكلم بها ماكانت. وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة. لأنها طريق إلى افهام المعانى التى يحتاج إليها فى أحسن صورة يدل بها عليها، وإنما أخذ السجع فى الكلام من سجع الحمامة وذلك أنه ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة، كماليس فى سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة، إذ كان المعنى لماتكلف من غير وجه الحاجة إليه والفائدة فيه لم يعتد به. فصار بمنزلة ماليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة[٣].

---

(١) سورة هود الأية (١).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٢٦).

(٣) انظر كتاب النكت فى إعجاز القرآن. ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص٩٧. ٩٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالرمانى. كما هو واضح من كلامه- يرى أن للفواصل غرضاً بلاغيا وهوحسن إفهام المعانى، ولذلك كانت الفواصل عنده بلاغة، والأسجاع عيب، لأن الفواصل تابعة للمعانى، وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها. يعنى أن السجع لايؤتى به لأن المعنى يتطلبه، وإنما يتكلف لمجرد تسجيع الكلام.

القاضى أبوبكر الباقلانى:

ممن وافق الرمانى فيما ذهب إليه فى أحد أقواله واستدل على ذلك بقوله: لوكان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز. ولوجاز أن يقال هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز، وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر لأن الكهانة تنافى النبواتوليس الشعر كذلك، وقد روى «أن النبى ﷺ قال للذين جاءوا وكلموه فى شأن الجنين: كيف ندى من لاأكل ولاشرب ولاصاح ولا استهل، أليس دمة قد بطل؟ فقال: أسجاعة كسجاعة الجاهلية. وفى بعضها «أسجعاً كسجع الكهان». فرأى ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته، والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم: لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً، لأن مايكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع، وليس كذلك ما اتفق مماهو فى تقدير السجع من القرآن لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى، وفصل بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظماً دون اللفظ، ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كإفادة غيره، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى».

ثم قال: «لوكان الذى فى القرآن على ماتقدرونه سجعاً لكان مذموماً مرزولاً، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلف طرفه كان قبيحاً من الكلام...

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد علمنا أن بعض مايدعونه سجعاً متقارب الفواصل متدانى المقاطع، وبعضها مايمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة على ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير، وهذا فى السجع غير مرضى ولامحمود »[١].

هذا قوله فى كتابه إعجاز القرآن. وقال السبكى[٢]: «حكى القاضى أبوبكر فى كتاب الإنتصار خلافاً فى تسمية الفواصل سجعاً ورجح أنها تسمى بذلك »[٣].

وخلاصة ماذهب إليه القائلون بنفى السجع عن القرآن الكريم وإطلاق إسم الفواصل على ماجاء فى القرآن الكريم على صورة السجع هو:

١- أن الرسول ﷺ كره السجع ونهى عنه لما فيه من التكلف والتعسف فقد قال عليه الصلاة والسلام لرجل سأله لما أوجب صلى الله عليه وسلم فى الجنين «بغرة» عبداً أو أمة قائلا«أندى من لاشرب ولا أكل، ولاصاح فاستهل. ومثل ذلك يطل»؟ قال له عليه الصلاة والسلام منكراً عليه: «أسجعاً كسجع الكهان»[٤].

٢- أن السجع مأخوذ من سجع الحمامة، وهو ترديد الحمامة صوتها على نسق واحد. وروى غير مختلف. وليس فى سجع الحمامة إلا الأصوات

---

(١) إعجاز القرآن للباقلانى ص٢١، ٢٢.

(٢) هو أحمد بن على بن عبدالكافى العلامة بهاء الدين أبوحامد السبكى ابن شيخ الإسلام تقى الدين أبى الحسن السبكى أخذ العلم عن مشيخة عصره برع فى العلم وهو شاب وتولى التدريس وهو شاب بمدارس عدة ثم ولى قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل من مؤلفاته عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح. توفى سنة (٧٧٣هـ). انظر تاريخ علوم البلاغة للمراغى ص١٤٤.

(٣) ينظر عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح. ضمن شروح التلخيص جـ٤ ص٤٥٢.

(٤) سبق تحقيقه ص ٢٦ من البحث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المتشاكلة. والقرآن الكريم جدير بأن ينزه عن التصريح بوصفه بما أصله فى الحمام التى هى من الدواب العجم. تأدباً مع الله ورسوله. وإنما نقول «الفواصل القرآنية» وقد سماها الله تعالى بذلك حيث قال ﴿كتاب فصلت آياته﴾(١).

قال المرشدى(٢): «وفى كلمات القرآن المتوافقة قل هى فواصل تأدباً وقدسماها تعالى بذلك حيث قال ﴿كتاب فصلت آياته﴾ فليس لنا أن نتجاوز عن ذلك كما لايجوز لنا استعمال الفاصلة فى الشعر لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلاتتعداه.. ولايقال فيها إسجاع لأن القرآن صفة لله تعالى فلا يجوز وصفها بصفة لم يرد الإذن بها كما لايجوز ذلك فى حقه تعالى وآن صح المعنى»(٣).

٣- أن الفواصل بلاغة والأسجاع عيب لأن الفواصل تابعة للمعانى وأما الأسجاع فالمعانى تابعة لها وفرق بين أن يكون اللفظ تابعاً للمعنى وأن يكون المعنى تابعاً للفظ. فالأول بلاغةوالثانى نقص وعيب.

ثانياً: القائلون بجواز إطلاق السجع على ماجاء على صورته فى القرآن الكريم وأدلتهم:

أبوهلال العسكرى(٤):

ذهب أبوهلال العسكرى إلى جواز إطلاق السجع على ماجاء على صورته فى القرآن الكريم مدعماً رأيه بالأدلة والشواهد فقال: لايحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولاتكاد تجد لبليغ كلاما يخلو من الإزدواج

---

(١) سورة فصلت الآية (٣).

(٢) المرشدى: هو العلامة عبدالرحمن بن عيسى بن مرشد العمرى. المعروف بالمرشدى مفتى الحرم المكى. توفى سنة (١٠٣٧هـ).

(٣) انظر عقود الجمان فى المعانى والبيان شرح العلامة المرشدى ص١٧٩.

(٤) هو الحسن بن عبدالله بن سعد العسكرى الأديب اللغوى، الشاعر العالم الفقيه، صاحب المؤلفات المفيدة أهمها كتابى: الصناعتين، وجمهرة الأمثال. توفى سنة ٣٩٥هـ. انظر تاريخ علوم البلاغة للمراغى ص٩٢. وترجمته فى كتاب الصناعتين تحقيق الدكتور مفيد قميحة ص ٥ ومابعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولو استغنى كلام عن الإزدواج لكان القرآن الكريم، لأنه فى نظمه خارج عن كلام الخلق، وقد كثر الإزدواج فيه حتي حصل فى أوساط الأيات فضلاً عما تزاوج فى الفواصل منه كقول الله تعالى: ﴿**الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور**﴾(١). وقوله عز وجل ﴿**أن لونشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم**﴾(٢). وقوله: ﴿**ولستم بأخذيه إلا أن تغمضوا فيه**﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿**ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم**﴾(٤). إلي غير ذلك من الأيات الكثيرة وأما مازوج بينه بالفواصل فهو كثير: مثل قوله تعالى: ﴿**فإذا فرغت فانصب. وإلى ربك فارغب**﴾(٥). وقوله سبحانه ﴿**فأما اليتيم فلاتقهر. وأما السائل فلا تنهر**﴾(٦) وقوله عزوجل: ﴿**والعصر إن الإنسان لفى خسر**﴾(٧).

وقوله جل ذكره ﴿**وأنه هو أضحك وأبكى، وأنه هو أمات وأحيا**﴾(٨). وهذا من المطابقة التى لاتجد فى كلام الخلق مثلهما حسناً ولاشدة إختصار على كثرة المطابقة فى الكلام. وكذلك جميع مافى القرآن مايجرى على التسجيع والإزدواج مخالف فى تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطلاوة

---

(١) سورة الأنعام. الآية (١).

(٢) الأعراف الأية (١٠٠).

(٣) البقرة آية (٢٦٧).

(٤) البقرة الآية (٢١).

(٥) سورة الشرح الآيتان (٧. ٨).

(٦) سورة الضحى الآيتان (٩. ١٠).

(٧) العصر الآيتان (١. ٢).

(٨) سورة النجم الآيتان (٤٣. ٤٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق.. ألاترى قوله عز اسمه ﴿ **والعاديات ضحاً. فالموريات قدحاً. فالمغيرات صجا، فأثرن به نقعاً. فوسطن به جمعاً**﴾(١) قد بان عن جميع أقسامهم الجارية هذا المجرى مثل قول الكاهن «والسماء والآرض، والقرض والفرض، والغمر والبرض»(٢) ومثل هذا من السجع مذموم لما فيه من التكلف والتعسف ولهذا قال النبى ﷺ لرجل. قال له. «أندى(٣) من لاشرب ولاأكل، ولاصاح فاستهل، فمثل ذلك يطل»(٤) أسجعاً كسجع الكهان. لأن التكلف فى سجعهم فاشى. ولو كرهه عليه الصلاة والسلام لكونه سجعاً لقال أسجعاً ثم سكت وكيف يذمه ويكرهه وإذا سلم من التكلف وبرئ من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام أحسن منه. وقد جرى عليه كثير من كلامه صلى الله عليه وسلم. فمن ذلك ماحدثنا به يوسف الإمام. قال حدثنا محمد بن خالد بن عبدالله أبوشهاب عن عوف، عن زرارة بن أوفى عن عبدالله بن سلام قال لماقدم النبى ﷺ المدينة إنجفل الناس قبله فقيل قدم رسول الله فجئت فى الناس لأنظر إليه فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب، فكان أول شئ تكلم به أن قال: «أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»(٥).

وكان صلى الله عليه وسلم ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ واتباع الكلمة أخواتها.. كقوله عليه الصلاة والسلام «أعيذه من

---

(١) سورة العاديات الآيات (١-٥).

(٢) البرض: القليل.

(٣) أندى من الدية وهى حق القتيل.

(٤) يطل: من كل دمه، إذا أهدره.

(٥) رواه الترمزى وقال حديث صحيح. انظر رياض الصالحين للنوى ص٣٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهامة والسامة، وكل عين لامة» وإنما أراد -ملمة- وقوله عليه الصلاة والسلام «إرجعن مأزورات غير مأجورات» وإنما أراد موزورات من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات قصداً للتوازن وصحة السجع. فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف(١).

فمن الملاحظ أن أبا هلال العسكرى يرى أن السجع من محاسن الكلام إذا أتى عفواً دون تكلف وتعسف وكان المعنى يتطلبه، واستدل على ذلك بما ساقه من أمثلة من القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ وأشار إلى أن الرسول ﷺ لم يذم السجع على الإطلاق، ولكنه ذم نوعا معينا منه وهو ماجاء متكلفا دون أن يتطلبه المعنى كسجع الكهان.

وعليه فلا مانع عنده من إطلاق السجع على ماجاء على صورته فى القرآن الكريم.

ابن سنان الخفاجى:

يرى ابن سنان الخفاجى مايراه أبو هلال العسكرى من جواز إطلاق السجع على ماجاء على صورته فى القرآن الكريم. وقد استهل كلامه بما ذهب إليه المانعون وبما استدلوا به، ثم فند كلامهم. ورد عليهم. واثبت جواز إطلاق السجع على ماجاء على صورته فى القرآن الكريم، وساق مجموعة من الأدلة على ذلك.

فقال: «وأما الفواصل التى فى القرآن فإنهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعاً وفرقوا فقالوا: إن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ثم يحمل المعنى

---

(١) ينظر كتاب الصناعتين ص٢٨٥، ٢٨٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه، والفواصل التى تتبع المعانى ولاتكون مقصودة فى نفسها، وقال على ابن عيسى الرمانى: إن الفواصل بلاغة، والسجع عيب، وعلل ذلك بماذكرناه من أن السجع تتبعه المعانى، والفواصل تتبع المعانى». وهذا غير صحيح، والذي يجب أن يحرر فى ذلك أن يقال: إن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفصول... والفواصل على ضربين: ضرب يكون سجعا، وهو ماتماثلت حروفه فى المقاطع. وضرب لايكون سجعا، وهو ماتقاربت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل، ولايخلو كل واحد من هذين القسمين- أعنى المتماثل، والمتقارب- من أن يكون يأتى طوعا سهلا وتابعاً للمعانى، وبالضد من ذلك، حتى يكون متكلفا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان. وإن كان من الثانى فهو مذموم مرفوض.

فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ماهومن القسم المحمود، لعلوه فى الفصاحة، وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة، فمثال المتماثلة قوله تعالى (**والطور. وكتاب مسطور، فى رق منشور، والبيت المعمور**﴾[١]. وقوله عز اسمه: ﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى، تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلا. الرحمن على العرش استوى**﴾[٢]... وقوله تعالى: ﴿**اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا أية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾[٣]. وجميع هذه السورة على هذا الإزدواج، وهذا جائز أن يسمى سجا لأن فيه معنى السجع ولامانع فى الشرع يمنع من ذلك. ومثال المتقارب فى الحروف قوله تبارك وتعالى : ﴿**ق. والقرآن المجيد. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون**

---

(١) سورة الطور. الآيات (١-٤).

(٢) سورة طه. الآيات (١-٤).

(٣) سورة القمر. الآيتان (١. ٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا شئ عجيب﴾[١]. وهذا لايسمى سجعا. لاناقد بينا أن السجع ماكانت حروفه متماثلة. فأما قول الرمانى: «إن السجع عيب، والفواصل بلاغة»- على الإطلاق فغلط، لأنه إن أراد بالسجع مايكون تابعا للمعنى وكأنه غير مقصود، فذلك بلاغة والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ماتقع المعانى تابعة له وهو مقصود متكلف، فذلك عيب، والفواصل مثله، وكما يعرض التكلف فى السجع عند طلب تماثل الحروف، كذلك يعرض فى الفواصل عند طلب تقارب الحروف...

ثم قال: وأظن أن الذى دعا أصحابنا إلى تسمية كل مافى القرآن فواصل، ولم يسموا ماتماثلت حروفه سجعا. رغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام والمروى عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض فى التسمية قريب، فأما الحقيقة فما ذكرناه، لأنه لافرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعا، وبين مشاركة جميعه فى كونه عرضا وصوتا. وحروفا وكلاماً وعربيا، ومؤلفا، وهذا مما لايخفى فيحتاج إلى زيادة فى البيان. ولافرق بين الفواصل التى تتماثل حروفهما فى المقاطع وبين السجع.

ثم قال: فإن قال قائل: إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلاورد القرآن كله مسجوعاً، وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع؟ قيل: إن القرآن أنزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم وكان الفصيح من كلامهم لايكون كله مسجوعاً، لما فى ذلك من أمارات التكلف والإستكراه والتصنع، لاسيما فيما يطول من الكلام، فلم يرد مسجوعاً جرياً به على عرفهم فى الطبقة العالية من كلامهم. ولم يخل من السجع لأنه يحسن فى بعض الكلام على الصفة التى قدمناها، وعليها ورد فى فصيح كلامهم، فلم يجز أن يكون عالياً

---

(١) سورة ق. الآيتان: (١، ٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فى الفصاحة وقد أخل فيه بشرط من شروطها، فهذا هو السبب فى ورود القرآن مسجوعاً وغير مسجوع[١].

ابن الأثير[٢]:

ممن قالوا بإطلاق السجع على ماورد على صورته فى القرآن الكريم. واستحسنه إذ نراه يقول: وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولاأرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذموماً لماورد فى القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير، حتى أنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر وغيرهما. وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا. خالدين فيها أبداً لايجدون وليا ولانصيرا**﴾[٣]... وقد ورد على هذا الأسلوب الكثير من كلام النبى ﷺ فمن ذلك مارواه ابن مسعود رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «استحيوا من الله حق الحياء» قلنا: إنا لنستحى من الله يارسول الله: قال: «ليس ذلك ولكن الإستحياء من الله أن تحفظ الرأس وماوعى، والبطن وماحوى، وتذكرالموت والبلى، ومن أراد الأخرة ترك زينة الحياة الدنيا»[٤] فإن قيل: إن النبى ﷺ قال لبعضهم منكراً وقد كلمه بكلام مسجوع «أسجعاً كسجع الكهان»؟ ولولا أن السجع مكروه لما

---

(١) أنظر سرالفصاحة ص١٧٢، ١٧٣، ١٧٤.

(٢) هو أبوالفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى، والملقب بضياء الدين ولد بجزيرة ابن عمرونشأ بها وانتقل مع والده إلى الموصل وحصل بها العلوم وولى الوزارة بدمشق، توفى رحمة الله سنة ٦٣٧هـ.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان (٦٤، ٦٥).

(٤) رواه الترمذى. أبواب صفة القيامة باب ٢٥ حديث ٢٤٦٠ وقال: حديث غريب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنكره ﷺ؟ فالجواب عن ذلك أنا نقول: لوكره النبى ﷺ السجع مطلقاً لقال: أسجعاً؟ ثم سكت وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل ولم كان، فلما قال: «أسجعاً كسجع الكهان» صار المعنى معلقاً على أمر وهو إنكار الفعل لم كان على هذا الوجه. فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لاغير، وأنه لم يذم السجع على الإطلاق. وقد ورد فى القرآن الكريم، وقد نطق به ﷺ فى الكثير من كلامه... على أن هذا الحديث النبوى الذى يتضمن إنكارا للسجع المشابه لسجع الكهان عندى فيه نظر، فإن الوهم يسبق إلى إنكاره، يقال: فما سجع الكهان الذى يتعلق الإنكار به؟، ونهى عنه رسولنا ﷺ والجواب عن ذلك أن النهى لم يكن عن السجع نفسه وإنما النهى عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله ﷺ فى الجنين بغرة عبد أو أمة. قال الرجل: أأدى من لاشرب ولا أكل، ولانطق ولااستهل، ومثل ذلك يطل؟[1] فقال رسول الله ﷺ «أسجعاً كسجع الكهان». أى أتتبع سجعاً كسجع الكهان؟... فالسجع إذا ليس بمنهى عنه وإنما المنهى عنه هو الحكم المتبوع فى قول الكاهن[2]... وإلا فالسجع الذى أتى به ذلك الرجل لابأس به، لأنه قال «أأدى من لاشرب ولا أكل، ولانطق ولااستهل، ومثل ذلك يطل» وهذا كلام حسن من حيث السجع، وليس بمنكر لنفسه. وإنما المنكر هو الحكم الذى تضمنه فى امتناع الكاهن أن يدى الجنين بغرة عبد أو أمة»[3].

---

(١) يطل: أى يهدر دمه.

(٢) قال عبدالصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى: لو أن هذا المتكلم لم يرد إلا الإقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس. ولكنه عسى أن يكون أراد إبطال حق، فتشادق فى الكلام... انظر البيان والتبيين جـ١ ص٢٨٧.

(٣) انظر المثل الثائر جـ١ ص٢١١ . ٢١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آراء العلماء في الميزان:

لعل بعد هذا العرض لرأى المانعين إطلاق لفظ السجع على ماورد على صورته فى القرآن الكريم وإحلال مكان هذه الكلمة لفظة الفاصلة. وعرض ما استدلوا به على ماذهبوا إليه. وكذا عرض رأى المجوزين وأدلتهم نصل إلى حكم عادل ومنصف على هذا اللون من الجمال البديع، خلاصتة أن السجع بحد ذاته بما يحمل من نغمة إجتماعية تطرب لها النفس، وتستسيغها الأذن، ليس حراماً ولامستكرها، ولو كان كذلك لمافاضت به كثير من السور القرآنية والأحاديث النبوية. والخطب الراشدية وأقوال الأدباء والصالحين من الناس.

وكأن الإعتراض الذى لمحناه فى حديث رسول الله ﷺ حين قال لذلك السجاعة «أسجعا كسجع الكهان» ينطوى على رغبته ﷺ باستنكار أساليب الكهنة والسحرة المضللين، فقد كانوا يتخذون هذا الأسلوب- وحده- ليضلوا الناس، ويطمسوا على عيونهم وقلوبهم، ويحرفوهم عن سواء السبيل،ويوحوا إليهم أنهم يعلمون الغيب، والغيب لايعلمه إلا الله وحده، فلقد روى على لسان سطيح وهو أحد كهنتهم. قوله : «أقسم بمابين الحر تين من حنشى، لتهبطن أرضكم الحبشى، فليملكن مابين أبين إلى جرشى»...، ولقد كذب سطيح فى قسمه السخيف، وكذب فيما أقسم عليه فلم تملك الحبشى أرض العرب، ولم ينزلوا مابين أبين إلى جرشى- رغم سجعه-.

كذلك كذب الكاهن الآخر المسمى «شق» حين أقسم كاذباً فقال «أقسم بما بين الحر تين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فلبغلبن على كل طفلة البنان، وليملكن مابين أبين إلى بخران».

لقد ادعى شق علم الغيب، كما ادعاه سطيح، ولقد كذب شق وكذب السطيح، فلم يملك الحبشى، ولا السودان أرض العرب، ولاغلبوا على أحد.

إن الرسول ﷺ حارب كل معتقدات الجاهلية ووقف فى وجه كهنتها وأساطيرها وخرافاتها وأساليبها.

ولئن كان سطيح وشق وسجاح ومسيلمة وسواهم يكذبون على الناس ويصوغون أكاذيبهم بلون معين من الصياغة المسجعة... إنه عليه الصلاة والسلام. حارب الأكاذيب والأسلوب الخاص الذى صيغت به.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويخيل إلينا أن العلماء رأوا أن الرسول الكريم ﷺ لم يحارب السجع لأنه سجع فحسب، أو لأنه لون من ألوان الصياغة والحلية، بل حارب المضمون الفكرى الذى كان السجع رداؤه ومظهره.

ثم إنه إذا كان مما استدل به المانعون قولهم: إن أصل السجع من سجع الطير والقرآن يشرف أن يستعار له لفظ هو فى الأصل لطائر، ولشرفه على الكلمات الحادثة يراعى فيه الأدب، فلا يطلق عليه مايطلق عليها، وهو «السجع».

فإن كلمة السجع في أصل معناها تدل على الإستواء والإستقامة والإشتباه، والتناسب. والقصد المستوى على نسق واحد وليس أصل السجع من سجع الطير فقط(١).

كما أنه من الأجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة، كالجناس والإلتفات، والإستعارة ونحوها فلامانع من إثباته فى القرآن كغيره من أجناس البلاغة.

وإنى مع ماعقب به أستاذنا الدكتور عبدالغنى بركه على هذا الموضوع بقوله «ولاشك أننا نقدر للعلماء الذين يكرهون تسمية مافى القرآن سجعاً دوافهم المخلصة وحرصهم على تبرئة القرآن الكريم من كل مايشم منه نقص أوعيب، وإجتهادهم فى سد كل ذريعة قد تؤدى إلى شئ من ذلك، ولكننا نرى أن جوهر الخلاف لفظى، فالطرفان بحمدِ الله كل منهما ينزل القرآن منزلته من البلاغة المعجزة، وإذا كانت العبرة بالمسميات لا بالأسماء، فالكل على اتفاق بأن مافى القرآن سواء سميناه فواصل أو سجعاً هو الصورة المثلى للتعبير البليغ، فالخطب إذن يسير، والغايات متلاقية»(٢).

---

(١) انظر لسان العرب مادة «سجع».

(٢) ينظر الإعجاز القرآنى وجوهه وأسراره للدكتور عبدالغنى بركة ص٩٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الخامس

الاثر البلاغى للسجع

السجع إيقاع محبب إلى النفس والقلب وكأنه تمهيد للشعر الذى يخاطب المشاعر والأحاسيس، وصورة مصغرة عنه، يحبه الرجل كبيراً، ويأنسى إليه صغيرا، بل لايكاد الطفل يغفو فى حضن أمه إلا إذا هدهدته بأنشودة مسجوعة، إيقاعية النغمات.

والحداء الذى ينشده الحادى للإبل حتى تسرع وتطير، وتكاد تنقطع أوداجها من شدة سرعتها وهى لاتدرى، مادامت تسمع الحادى يشنف مسامعها بعذب ايقاعه وصوته الرخيم.

ومابال الطير التى نقط فى أحضان أصحاب الأصوات الرخيمة والأناشيد البديعة؟ بل لعلنا نتساءل لماذا يزداد در حليب البقر إذا سمعت الموسيقى الشجية، والأنغام البديعة؟

ولماذا ينمو النبات بسرعة أكبر لو كانت الموسيقى صداحة تتموج فوق ذلك النبات؟

إن الفطرة فى كل عناصر الحياة مع النغمة العذبة الشجية، واللحن الحلو الجميل، والسجع شئ من هذا التنغيم البديع إذا ماتوافرت فيه شروط حسنه السابق ذكرها، ولون من ألوان الإيقاع الصوتى والإئتلاف الموسيقى الذى تطرب له الأذن وترتاح له النفوس، فهو يمنح الكلام جرساً موسيقياً، وحسن إيقاع. فالفقرة إذا القيت تطلعت النفس إلى قرينتها لتكمل النغمة ويتم التطريب، وبهذا يجذب السجع انتباه السامع ويثيره إلى تلقى الكلام، فيفهمه ويعيده.

كما أن السجع يعين على حفظ الكلام، وتقبله ويساعد على زيادة الإقبال على سماعه والإصغاء إلى قائله.

شريطة أن يراعى قائله ماوضعه البلاغيون له من شروط. كى يكون مقبولاً محبباً.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول ابن الأثير: إذا كان السجع محمولاً على الطبع غير متكلف فإنه يجئ في غاية الحسن، وهو أعلى درجات الكلام، وإذا تهيأ للكاتب أن يأتى به في كتاباته كلها على هذه الشريطة فإنه يكون قد ملك رقاب الكلم، يستعبد كرائمها، ويستولد عقائمها وفي مثل ذلك فليتنافس، وعن مقامة فليتقاعس، ولصاحبه أولى يقول المتنبى(١):

أنت الوحيد إذا ركبت طريقة ومن الرديف وقد ركبت غضنفر(٢)

وقال العلوى: «إن السجع من أرفع مراتب الكلام وأعلاها، وأجل علوم البلاغة وأسماها، ولهذا اختص به من بين سائر الأساليب البلاغية التنزيل، وأحاط بطويله وقصيره، وكان الحسن فيه على أحسن هيئة وتنزيل». ثم قال: «والحجة على ذلك هى أن كتاب الله والسنة النبوية وكلام أميرالمؤمنين مملوء منه وكلام البلغاء أيضاً.. فلوكان مستكرها لما ورد في هذا الكلام البالغ فى الفصاحة كل مبلغ ولأجل كثرته فى السنة الفصحاء لايكاد بليغ من البلغاء

---

(١) المتنبى: شاعر العربية الكبير، وأشعر شعراء المحدثين، وهو أبو الطيب أحمد بن الحسين، ولد بالكوفة، لأب جعفرى يمنى وأم همدانية يمنية ونشأ بها، وتقلبت به الأيام بين حلو ومر، وسعادة وشقاء، مدح كثيراً من أعلام عصرة، مثل سيف الدولة، وكافور لإخشيدى وعضد الدولة وابن العميد وغيرهم من الأمراء وذوى الشأن، ونال خطوة عند كثيرين، كما باء بالسخط والكراهية عند أخرين، وانتهت حياته بمأساة عنيفة، إذ خرج عليه بعض الأعراب لدى عودته من فارس إلى الكوفة وقتلوه قرب الكوفة سنة ٣٥٤هـ، انظر الإبانه عن سرقات المتنبى لأبى سعد محمد بن العميد ط. دار المعارف .ص٥ بتصرف.

(٢) من قصيدة يمدح بها أباالفضل محمد بن العميد، ومطلعها:

باد هواك صبرت أم لم تصبرا وبكاك إن لم يجر دمعك أوجرى

أنظر الديوان ١٦٧/٢ وروايته «ارتكبت» موضع «ركبت» يقول أنت فى كل أمر تفعله فرد لايقدر أحد أن يتبعك فيه، كراكب الأسد لايقدر أحد أن يتبعه أو أن يكون رديفاً له. انظر المثل السائر جـ١ ص٢١٣ . ٢١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يرتجل خطبة، ولايحرر موعظة إلا ويكون أكثره مبنياً على التسجيع فى أكثره وفى هذا دلالة قاطعة على كونه مقولاً مستعملاً فى السنة الفصحاء في المقامات المشهورة والمحافل المعهودة»[١].

هذا وخير شاهد على حسن السجع إذا جاء طوعاً دون تكلف ما أورده البلاغيون من شواهد وأمثلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ومأثور الكلام من أقوال الفصحاء والبلغاء.

قال ابن النفيس: يكفى فى حسنه ورود القرآن الكريم به، ولايقدح فى ذلك خلو بعض الآيات عنه، لأنه قد يقتضى المقام الإنتقال عن الحسن إلي الأحسن[٢].

واستدل له بعض العلماء أيضاً على حسنه وبلاغته وجوازه فى القرآن وأنه من الأساليب المؤثرة بعدد من الشواهد والأدلة منها:

أن الكل متفقون على أن موسى أفضل من هارون- عليهما السلام- ولمكان السجع فى سورة طه تقدم ذكر هارون على موسى رعاية للفاصلة أو «السجع» أو للنغمة الإيقاعية للآيات. قال تعالى: ﴿**فألقى السحرة سجدا. قالوا آمنا برب هارون وموسى**﴾[٣].

وقدم المفعول «خيفة» على الفاعل «موسى» فى قوله تعالى: ﴿**فأوجس فى نفسه خيفة موسى**﴾[٤].

كذلك الأمر فى حذف المفعول فى سورة «الضحى» حيث قال تعالى «ماودعك ربك وماقلى» والأصل «وماقلاك» فحذفت الكاف انسجاماً مع

---

(١) ينظر الطراز للعلوى جـ٣ ص٢٠ . ٢٧.

(٢) انظر عقود الجمان جـ٢ ص١٧٨.

(٣) سورة طه الآية ٧٠.

(٤) سورة طه الآية (٦٧). وانظر البيان فى إعراب القرآن للأنبارى جـ٢/١٤٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سياق الآيات: «والضحى. والليل إذا سجى. ماودعك ربك وماقلى. ولأخرة خير لك من الأولى»[١].

وقد صرف مالاينصرف رعيا للفاصلة القرآنية، أو للسجع فى قوله تعالى فى سورة الإنسان: ﴿**ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا. قوارير من فضة قدروها تقديرا**﴾[٢].

وهذه طائفة من الشواهد والأمثلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والمأثور من أقوال الفصحاء وأرباب البيان تستشف منها حسن السجع وبلاغته.

أولا: القرآن الكريم:

من سورة النجم نجد قوله تعالى: ﴿**والنجم إذا هوى. ماضل صاحبكم وماغوى. وماينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى. علمه شديد القوى ذومرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى. فأوحى إلى عبده ما أوحى. ماكذب الفؤاد مارأى. أفتمارونه على مايرى**﴾[٣].

ومن سورة المدثر قوله تعالى: ﴿**ياأيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر. ولاتمنن تستكثر. ولربك فاصبر**﴾[٤].

وفى سورة المزمل قوله تعالى: ﴿**ياأيها المزمل. قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا.**

---

(١) سورة الضحى. الآية (٣).

(٢) سورة الإنسان: الآيتان (١٥، ١٦).

(٣) سورة النجم (١-١٢).

(٤) سورة المزمل (١-٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انا سنلقى عليك قولاً ثقيلا. إن ناشئة الليل هى أشد وطئاً وأقوم قيلا.إن لك فى النهار سبحاً طويلا. واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾(١).

وفى سورة التكوير قوله تعالى: ﴿إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت.وإذا الجبال سيرت. وإذا العشار عطلت. وإذا الوحوش حشرت. وإذا البحار سجرت. وإذا النفوس زوجت. وإذا الموءدة سئلت. بأى ذنب قتلت. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كشطت. وإذا الجحيم سعرت. وإذا الجنة أزلفت. علمت نفس ما أحضرت﴾(٢).

وفى سورة الفجر قوله تعالى: ﴿والفجر. وليال عشر. والشفع والوتر. والليل إذا يسر. هل فى ذلك قسم لذى حجر. ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد. التى لم يخلق مثلها فى البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذى الأوتاد. الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد. فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد﴾(٣).

وفى سورة الشمس قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها. والقمر إذا تلاها. والنهار إذا جلاها. والليل إذا يغشاها. والسماء ومابناها. والأرض وماطحاها. ونفس وماسواها. فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها. كذبت ثمود بطغواها. إذ انبعث اشقاها. فقال لهم رسول الله فاقة الله وسقياها.

---

(١) سورة المزمل (١-٨).

(٢) سورة التكوير (١-١٤).

(٣) سورة الفجر (١-١٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكذبوه فعقروها. فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها. ولايخاف عقباها﴾(١).

وسورة الفيل: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. ألم يجعل كيدهم فى تضليل. وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ترميهم بحجارة من سجيل. فجعلهم كعصف مأكول﴾(٢).

وسورة الصمد. قال تعالى: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾(٣).

فأمثال ذلك كثيرة فى القرآن الكريم حتى أنه لم تخل منه سورة من السور وكلها تؤيد حسن السجع، وماله من أثر بديع فى النفس حيث يضفى على الكلام رونقاً وبهاءً، يملأ القلب طرباً ورهباً، والأذن فرحاً وهلعاً.

ثانياً: الأحاديث النبوية الشريفة:

إن من يطالع أحاديث رسولنا صلى الله عليه وسلم وبخاصة ماكانت أدعية وابتهالات يجدها تفيض بهذا الأسلوب الجميل. منها قوله ﷺ «اللهم آت نفسى تقواها. وزكها أنت خير منزكاها. أنت وليها ومولاها»(٤).

وقوله ﷺ «اللهم أعوذ بك من علم لاينفع، ومن قلب لايخشع، ومن نفس لاتشبع، ومن دعاء لايسمع»(٥).

وقوله ﷺ «اللهم لك أسلمت. وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حكمت، فاغفرلى ماقدمت ومأأخرت. ومأأسررت وما أعلنت. أنت المقدم والمؤخر. لا إله إلا أنت»(٦).

---

(١) سورة الشمس (١-١٥).

(٢) سورة الفيل (١-٥).

(٣) سورة الصمد (١-٣).

(٤) الأذكار للنووى ٣٣٥.

(٥) متفق عليه. المرجع السابق ص٣٣٥.

(٦) صحيح البخارى. الباب السابع والعشرون من كتاب الزكاة. وصحيح مسلم الباب التاسع والخمسون من كتاب الزكاة، مسند أحمد ٣٠٦/٢، ٣٤٧، ١٩٧/٥، الأذكار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنها دعاؤه ﷺ «اللهم إنى أدرأبك فى نحورهم وأعوذبك من شرورهم»[١]. وقوله ﷺ «اللهم اقبل توبتى، واغسل حوبتى»[٢].

وقوله ﷺ «اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً»[٣].

ثالثاً: أمثلة من أقوال العلماء:

١- من ذلك قول سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه[٤] «أمابعد، فإن الدنيا قد أدبرت، وأذنت بوداع، وإن الأخرة قد أشرفت بإطلاع، ألا وإن اليوم المضمار[٥] وغدا السباق، والسبقه[٦] الجنة، والغاية النار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيته، ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه؟».

وقوله فى خطبة أخرى يحث على الجهاد ويلوم الذين تخلفوا عنه: «ياأشباه الرجال ولارجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الجمال، لوددت أنى لم أركم، ولم أعرفكم، معرفة والله جرت قدما، وأعقبت سدماً..»[٧].

ومن خطبه البليغة قوله: «الحمد لله الذى علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كل غنيمة وفضل، وكاشف كل كريهة وأزل، أحمده على عواطف كرمه، وسوابغ نعمه، وأومن به أو لابادياً، وأستهديه قريباً هاديا، وأستعينه قاهراً قادرا، وأتوكل عليه كافياً ناصرا» ثم قال بعد ذلك: «أوصيكم عباداالله بتقوى الله

---

(١) انظر سنن أبى داود الباب الثلاثون من كتاب الوتر ومسند

(٢) رواه ابن ماجة باب الدعاء، وأبو داود باب الوتر، والترمزى باب الدعوات.

(٣) رواه أبوداود فى باب الوتر، وأحمد بن حنبل جـ٤ ص٤١٤ . ٤١٥.

(٤) ينظر نهج البلاغة جـ١ ص٨٨ وطبعة مكتبة الأندلس بشرح محمد عبده.

(٥) المضمار: ميدان الخيل الذى فيه تجرى وتضمر لتكون خفيفة اللحم، قادرة على السبق.

(٦) السبقة: مايتراهن عليه أهل السباق من جوائز والعبارة تعنى أن جائزة السابقين الجنة، والمتخلفين النار.

(٧) ينظر نهج البلاغة جـ١ ص٨٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذى ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وألبسكم الرياش، وأرفع لكم المعاش». ثم قال فيها: «فإن الدنيا رفق مشربها، ردع مشرعها موثق مظهرها، موبق مخبرها، غرور حائل، وضوء آفل، وظل زائل، وسناد مائل»[١].

٣- ومن سجع الصاحب بن عباد وقد ذكره ابن الأثير. قال الصاحب فى وصف مهزومين: «طاروا واقين بظهورهم صدورهم. وبأصلابهم نحورهم». وكذلك قوله يصف ضيق مجال الحرب:

«مكان ضنك على الفارس والراجل، ضيق على الرامح والنابل».

ومن كلامه فى كتاب وهو «لاتتوجه همته إلى أعظم مرقوب إلاطاع ودان، ولاتمتد عزيمته إلى أضخم مطلوب إلا كان واستكان»[٢].

٤- ومن أقوال أبى إسحاق السابى[٣] التى أوردها ابن الأثير فى كتاب المثل السائر:[٤] «الحمد لله الذى لاتدركه الأعين بألحاظها، ولاتحده الألسن بألفاظها، ولاتخلقه العصور بمرورها، ولاتهرمه الدهور بكرورها»[٥].

---

(١) الطراز للعلوى جـ٣ ص٣٠، ٣١.

(٢) ينظر المثل السائر جـ١ص٢١٩.

(٣) هو ابو إسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون، كان كاتب الإنشاء فى بغداد عند الخليفة وعند عز الدولة بن نجتيار بن معز الدولة بن بويه، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩. وكان على مذهب الصائبة كما يدل على ذلك إسمه. وله صداقه مع الشريف الرضى، وقد اشتهر بكتابته المسجوعة، وله رسائل مطبوعة «وفيات الأعيان ١/ ١٢ ويتيمة الدهر ٢/ ٢٣ ومعجم الأدباء ١/ ٣٢٤.

(٤) ينظر المثل السائر جـ١ص٢١٧. وقد اختصر ابن الأثير كلاماً كثيراً، وفى المختار «الفاعل لاعن مادة استمدها، الصانع لابآلة استعملها، الذى لاتدركه الأعين... الخ».

(٥) المختار من رسائل أبى إسحاق الصابى جـ١ ص١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم انتهى إلى الصلاة على النبى ﷺ ، فقال «لم ير للكفر أثراً إلا طمسه ومحاه، ولارسماً إلا أزاله وعفاه»(١).

ومن كلامه الذى أورده ابن الأثير فى كتاب. وهو: «وقد علمت(٢) أن الدولة العباسية لم تزل على سالف الأيام، ومتعاقب(٣) الأعوام تعتل طوراً وتصح أطواراً، وتلتاث(٤) مرة، وتستقل مراراً، من حيث أصلها راسخ لايتزعزع، وبنيانها ثابت لايتضعضع»(٥).

رابعا: أمثلة من مقالات الكتاب:

من المقالات الصحفية التى كان للسجع فيها أثر واضح على القارئ والسامع من جذبه لقراءتها والتأثر بها، والتعايش معها، والتفاعل مع أفكارها مقال بعنوان: **«رسالة السلف إلى الخلف»**.

يقول فيها الكاتب «من بناة المجد التليد. الذين منهم طارق وابن الوليد، ركبنا ألنا الحديد، فتحنا البلاد القريب منها والبعيد، شققنا الجبال. وفوق الرمال شددنا الرحال. تهون المخاطر بين الرجال. وتدنو الغاية سهل المنال. أمتنا اللئام. وساد الوئام بغصن الزيتون وسرب الحمام، أقمنا المساجد رمز السلام، تنادى الصلاة وحسن المقام.

---

(١) المختار من رسائل أبى إسحاق الصابى جـ١ ص١٧.

(٢) حذف ابن الأثير بعض العبارات وفي المختار «وقد علمت وعلم غيرك بعيان ما أدركته الأعمار، وسماع مانقلته الأخبار، أن الدولة العباسية التى رفع الله عماد الحق بها، وخفض منار الباطل... الخ».

(٣) وفى الأصل «معاقب» والصواب عن المختار.

(٤) تلتاث : تختلط.

(٥) المختار من رسائل أبى إسحاق جـ١ ص٢١٦. والمثل السائر جـ١ ص٢١٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حذارى حذارى حبيب الديار. عدو يخاف بزوغ النهار، فهذا المغول وذاك التتار. نذير الخراب حليف الدمار. فعد للقتال واشعلهانار.

تركنا لكم إرثا شاسعا فحافظوا عليه، ومجدا ساطعا ترفو الوجوه إليه، وسيفا قاطعا فلاتقطعوا به أرحامكم، وحصنا مانعا حسن إسلامكم، وكتابا نافعا فيه خيركم. فلاتدعوا للعدو مجالا، ولاتسمعوا له حديثا ولاتصدقوا له مقالا، إنه ابن الشيطان الذى فرق الأمم ومزق الأوطان. فسلب الأرض، وهتك العرض، أطفال تموت صرعا، وأمهات يسقطن جزعا، وشيوخ يقعون خوفاوهلعا، ونحن تعتصر قلوبنا حسرة ووجعاً.

تحيط بنا المخاطر من كل جانب، كالعقبان والذئاب والثعالب، لمن نشكو ومن نعاتب، فمجلس الأمن شاجب، وللأمم المتحدة موقف سالب، ولا أنياب لها ولامخالب.

فالاتحاد سبيل الأمان، والقوة لغة العصر والزمان، والبوسنة والهرسك خير دليل وبرهان. ابدأ بنفسك وامدد يدك للإخوان. لتعيش حرا وتسلم الأوطان، من العبودية والرق والذل والهوان.

تلك نصيحتى لك، وهذا عهدى بك ناصرا للحق، لايخالجنى فى ذلك أدنى شك، دفعك للظلم فى الحرب والسلم، ناهلا من بحور الدين والعلم، متذرعا بالصبر والحلم.

والسلام من قلب مفعم بالآلام، يدعوا لله أن ترفرف على أمتنا راية الوحدة ولواء القوة، لتكون سندا تحمى كل من يلوذ بها من أقصاها إلى أقصاها كما كانت. والله المستعان»[1].

وبعد. فهذه أمثلة وشواهد تعد خير دليل على حسن السجع وبلاغته وماله من أثر فى الكلام على القارئ والسامع.

---

(١) مجلة الدعوة. أسبوعية. إسلامية. جامعة تصدر عن مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية. الرياض. العدد ١٤٢٧ ص٤٨. ٤٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خاتمة البحث

بعد العرض والدراسة للسجع ومايتعلق به من مباحث، وبالنظروالتأمل فيما تقدم فى ثنايا هذا البحث، وماتضمنه من مباحث نستطيع أن نقف على عدة نتائج أهمها مايلى:

١- أن السجع الفنى الذى يخدم المعنى ويأتى تابعا له ليس حلية لفظية لايقتضيها المقام، وإنما هو صورة صوتية يمليها المعنى فتزيد آداءه حسنا وجمالا، وبهاء بتأثير هذا الرنين الصوتى المتشابه، فيصير ضربا من ضروب التوكيد بالصوت يتلون بألوان متباينة بحسب مايتعاون الصوت والمعنى فى التعبير عن المراد.

٢- أن من الألفاظ التى ينبغى الوقوف على مدلولاتها لكثرة دورانها فى هذا الباب: «القرينة، والفقرة، والفاصلة، والسجع».

فالقرينة: هى قطعة من الكلام جعلت مزاوجة لأخرى.

والفقرة: قطعة من الكلام سواء زاوجت لأخرى أم لا وسواء كانت مع تسجيع أولا. فهى أعم من القرينة.

والفاصلة: هى الكلمة الأخيرة من القرينة التي هى الفقرة. وقد سميت بذلك لأنها ينفصل عندها الكلامان.

والسجع: قد يطلق على نفس الفاصلة الموافقة لأخرى فى الحرف الأخير منها، وقد يطلق على توافق الفاصلتين فى الحرف الأخير.

٣- إن تقسيمات البلاغيين للسجع بحسب طول القرائن وقصرها إلى حسن، وأحسن، ومالا يحسن ينبغى عدم تطبيقها على القرآن الكريم، لأنه قد يؤدى إلى محظور، وهو أنه بهذا المقياس الذى وضعه البلاغيون لماهو حسن وأحسن من السجع يصبح هناك أقولا أبلغ من آيات فى القرآن الكريم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا جهل بقدر كلام الله تعالى وسمو بلاغته، وعلومنزلته، وبلوغه حداً لايمكن أن يحاكى، فضلا أن يعلى عليه.

كما أن تطبيق هذه الشروط يؤدى إلى محظور آخر هو القول بتفاوت القرآن بعضه بعضا فى الحسن، وهذا فيه إجحاف وسوء فهم وتقدير للقرآن الكريم.

فالقرآن الكريم كله فى درجة واحدة فى البلاغة لايعلو بعضه بعضا، وليس فيه تفاوت بين آياته فى الحسن، لأن مصدره واحد- وهو الله سبحانه جل وعلا.

٤- أن مسألة أفضلية القرآن بعضه على بعض قول مشاع عند بعض المتقدمين. وحرى بالمسلم أن يمعن النظر فى هذا القول، وأن يحدد وجه الأفضلية، فإن كان القائل بالأفضلية يرجعها إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب إنفعالات النفس وخشيتها، وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا فهذا جائز لما هو ثابت فى السنة.

أما أن تكون الأفضلية راجعة إلى تفاوت أسلوبه فى الفصاحة والبلاغة، وأن هناك آية أبلغ من آية، وسورة أبلغ من سورة فهذا ماينبغى الوقوف عنده. ومن الصواب عدم الخوض فيه لأنه يؤدى فى تقديرى إلى محظور، وهو أن الله سبحانه وتعالى كان فى بعض المواضع من القرآن أقدر على إجادة القول منه فى مواضع أخرى، وهذا محال فى حقه لأنه هو العليم الحكيم.

٥- أن الفطرة السليمة فى كل عناصر الحياة مع النغمة الحلوة الشجية واللحن العذب الجميل، وإذا كان فى السجع شئ من هذا التنغيم البديع الذى يسمو به المعنى، فلاشك أنه من قبيل السجع المحمود، وأما إذا كان نشازاً معتلا فإنه من قبيل السجع المذموم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- أن السجع المقبول والمحمود هو ماتوافرت فيه الشروط التى وصفها البلاغيون للسجع الحسن والمقبول، والتى سبقت الإشارة إليها والسجع المردود والمذموم هو مالم تتوافر فيه هذه الشروط.

٧- أنه إذا كان هناك من كره إطلاق لفظ السجع على ماورد على صورته فى القرآن الكريم، وإحلال مكان هذه الكلمة لفظة الفاصلة. وهناك من جوز إطلاق لفظ السجع على ماورد على صورته فى القرآن الكريم، فإنه بنظرة فاحصة فيما ذهب إليه كل منهما نجد أن جوهر الخلاف لفظى، فالكل ينشد تنزيل القرآن الكريم منزلته من البلاغة المعجزة. وإذا كانت العبرة بالمسميات لا بالأسماء فما فى القرآن الكريم سواء سميناه فواصل أو سميناه سجعا هو الصورة المثلى للتعبير البليغ المعجز.

٨- أن السجع إذا راعى قائله ماوضعه البلاغيون له من شروط كى يكون مقبولا ومحموداً كان له أثر بلاغى عظيم، إذ هو يعين على حفظ الكلام، وتقبله، ويساعد على زيادة الإقبال على سماعه، والإصغاء إلى قائلة.

كما أنه يعدلون من ألوان الإيقاع الصوتى والائتلاف الموسيقى الذى تطرب له الآذان، وترتاح له النفوس، فهو يمنح الكلام جرساً موسيقياً، وحسن إيقاع، فالفقرة إذا القيت تطلعت النفس إلى قرينتها لتكمل النغمة، ويتم التطريب، وبهذا يجذب السجع انتباه السامع، ويثيره لتلقى الكلام، فيفهمه ويعيه.

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه،،،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفهارس

اولا: فهرس أهم المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم

٢- إرشاد السارى إلى شرح صحيح البخارى للقسطلانى.

٣- الجامع الصغير للسيوطى، مطبعة المشهد الحسينى.

٤- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، للإمام النووى. دار الكتاب الاسلامى.

٥- سنن الترمذى، تحقيق أحمد محمد شاكر.

٦- صحيح مسلم، شرح المنياوى.

٧- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار الغد العربى.

٨- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى، دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان.

٩- الأذكار للإمام النووى.

١٠- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.

١١- الأطول للعصام.

١٢- إعجاز القرآن للباقلانى.

١٣- الإعجاز القرآنى وجوهه وأسراره. للدكتور عبدالغنى بركه.

١٤- أنوار الربيع.

١٥- الإيضاح لتلخيص المفتاح. شرح عبدالمتعال الصعيدى. مكتبة الآداب بالجماميز.

١٦- بغية الوعاه للسيوطى. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. مطبعة الحلبى.

١٧- البيان والتبيين للجاحظ. شرح وتحقيق محمد عبدالسلام هارون.

١٨- البيان فى إعراب القرآن. للأنبارى.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٩- تاريخ بغداد للحافظ أبوبكر أحمد بن على الخطيب البغدادى. دار الكتب العلميه. بيروت لبنان بدون تاريخ.
٢٠- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها. تأليف. أحمد المراغى.
٢١- ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرمانى. والخطابى، والجرجانى. تحقيق محمد خلف الله. والدكتور محمد زغلول سلام طبعة دار المعارف. الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.
٢٢- حاشية الدسوقى على شرح السعد. ضمن شروح التلخيص. دار السرور. بيروت. لبنان.
٢٣- خزانة الأدب وغاية الأرب- أبوبكر على بن حجة الحموى- دار القاموس الحديث للطباعة والنشر- بيروت- بدون تاريخ.
٢٤- دلائل الإعجاز. للإمام عبدالقاهر الجرجانى. تحقيق وشرح الدكتور عبدالمنعم خفاجى. مكتبة القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٥- دمية القصر للبخارزى. المطبعة العلمية. بحلب ١٩٣٠م.
٢٦- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى ت/محمد على النجار عالم الكتب- بيروت الطبعة الثالثة- ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢٧- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى. دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٢٨- شذرات الذهب. فى أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى.
٢٩- شروح التلخيص. بيروت- لبنان.
٣٠- الشقائق النعمانية.
٣١- الصناعتين لأبى هلال العسكرى. تحقيق الدكتور/مفيد قميحة. دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٢- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم خصائص الإعجاز. يحيى بن حمزة ابن على بن إبراهيم العلوى- دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٣٣- عجائب الآثار.
٣٤- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكى. ضمن شروح التلخيص.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٥- عقود الجمان فى المعانى والبيان لجلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى بشرح العلامة المرشدى- الطبعة الثانية.
٣٦- لسان العرب- لابن منظور المصرى- دار المعارف- بدون تاريخ.
٣٧- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر- لضياء الدين بن الأثير- تحقيق أحمد الحوفى، وبدوى طبانة- دار نهضة مصر- بدون تاريخ.
٣٨- محاضرات فى علم البديع- للدكتور محمود السيد شيخون.
٣٩- المختار من رسائل أبى إسحاق الصابى.
٤٠- مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زادة) ت/كامل كامل بكرى، دار الكتب الحديثة بدون تاريخ.
٤١- مفتاح العلوم، لأبى يعقوب السكاكى، مصطفى البابى الحلبى، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٤٢- معجم المطبوعات العربيه والمصرية، يوسف اليان سركيس، مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م.
٤٣- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى بيروت، بدون تاريخ.
٤٤- من قضايا البلاغة والنقد- دكتور عبدالعظيم المطعنى.
٤٥- مواهب الفتاح. لابن يعقوب المغربى (ضمن الشروح) طبعة بيروت لبنان.
٤٦- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ابن تغرى بردى، دار الكتب بدون تاريخ.
٤٧- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء. الأنبارى. ط جمعية إحياء مآثر العرب.
٤٨- النكت فى إعجاز القرآن للرمانى. ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن.
٤٩- نهج البلاغة. تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم.
٥٠- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأحمد بن خلكان، ت احسان عباس- صادر بيروت بدون تاريخ.
٥١- يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر- أبومنصور الثعالبى- دار الكتب العلمية ١٣٩١هـ- ١٩٧٩م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner